قواعد
التعايش بين أهل الأديان

عند شيخ الإسلام ابن تيمية
طيب الله ثراه

بقلم
محمد خير العبود

رمادي للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد
التعايش بين أهل الأديان

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

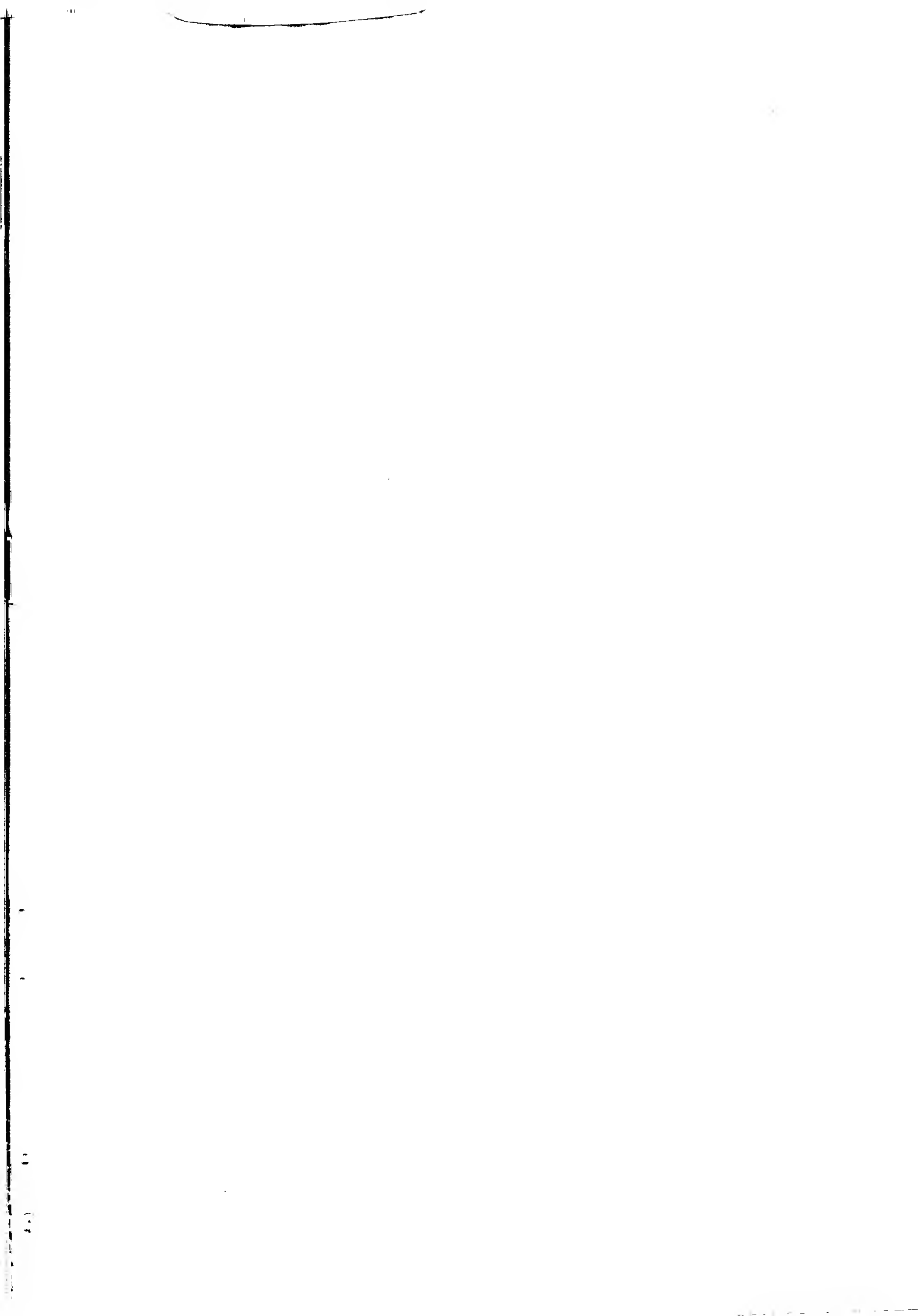
رمادي للنشر

ص . ب - ٧٤٨٦
الدمام - ٣١٤٦٢
المملكة العربية السعودية
هاتف / ٨٣٣٧٧٧٠
فاكس / ٨٣٤٩٨٤٦
ترخيص رقم - ٤٥٠٥ / د

قال الله تعالىٰ:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

[آل عمران: ٦٤]



المقدّمة

الحمد للّه الذي خلق السماوات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، سميع بصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، شهادة تكون لنا مركباً في الدنيا ، ومؤنساً في وحشة القبور ، اللّهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته البدور ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم النشور .

وبعد :

فإنّ اللّه تعالى خلق الخلق لعبادته ، كما قال اللّه تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾[1] ، وذلك هو أصل ما أمرهم به على ألسن الرسل ، كما قال نوح وهود وصالح وإبراهيم وشعيب : ﴿ اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره ﴾ ، وقال : ﴿ ومن يرغب عن ملّة إبراهيمَ إلا من سفه نفسه ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾[2] .

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٠ - ١٣٣ .

وقال لموسى : ﴿ إنني أنا اللَّهُ لا إله إلا أنا فاعبُدْني ﴾ (1)

وقال المسيح : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا اللَّه ربي وربّكم ﴾ (2)

فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعمليّة ، فالاعتقادية كالإيمان باللَّه وبرسله وباليوم الآخر ، والعمليّة كالأعمال العامة المذكورة في سورتي الأنعام والأعراف وسورة الإسراء ، كقوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ... ﴾ (3) إلى آخر الآيات الثلاث ، وقوله : ﴿ وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلا إيّاهُ وبالوالدين إحساناً ... ﴾ (4) ، إلى آخر الوصايا ، وقوله تعالى : ﴿ قل إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا باللَّه مالم يُنزّل به سلطاناً وأن تقولوا على اللَّه مالا تعلمون ﴾ (5) .

و « الدين » مصدر ، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول ، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنّه العابد المطيع ، وإذا أُضيف إلى اللَّه فلأنّه المعبود المطاع .

---

(1) سورة طه : الآية ١٤ .

(2) سورة المائدة : الآية ١١٧ .

(3) سورة الأنعام : الآيات ١٥١ - ١٥٣ .

(4) سورة الإسراء : الآيات ٢٣ - ٣٨ .

(5) سورة الأعراف : الآية ٣٣ .

وبعد هذه المقدمة الوجيزة ، فإنّ الدافع وراء كتابة هـذه الرسـالة هـو تصحيـح المفـاهيم عنـد عـوامّ النـاس حيـث أنني وجـدت أنَّ كثيراً منهـم يجهلون المعنى والمفهوم الحقيقي للديـن حتـى أنّ بعضهـم أراد أن يجمـع بين الأديان السماوية على النهـج الـذي يوافـق النفـس والهـوى ، ويخـالف النهج الرباني السماوي في الجمع بين الأديان .

ولقد أعجبت برسالة أرسلها شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه اللّه إلـى الملك (سرجوان) ؛ والذي كان يدين بالنصرانيّـة ، وأوضـح فيهـا الشـيخ المنهج الرباني في التوحيـد والجمـع بيـن الأديـان ، وقـد اتبـع فـي أسـلوبه الحكمة والبيان والاستدلال بآيات القرآن وأحاديث خـير الأنـام صلـى اللّـه عليه وسلم ، فأوردت هذه الرسالة كاملةً ، وأضفـت إليهـا مقتطفـات مـن كلام الشيخ فيما يخصّ هذا الموضوع ، وحاولت جاهداً توضيح النصوص بغيرها من كلامه رحمه اللّه ، وقد تضمنت هذه الرسالة أحكام التعايش بين هذه الأمة المحمدية وغيرها من أمم أهـل الكتـاب ، **وهـي ليسـت بأحكـام مساواة بين أفراد هذه الأمم ، وإنّما هي أحكام عادلة ارتضاهـا الخـالق جـلّ وعلا لعباده ، فرفع فيها من شاء ، وخفض من شاء ، وأعـزّ فيهـا مـن شـاء ، وأذل فيها من شاء ، فله الحكم ، وإليه يرجـع الأمـر كلّـه ومـا ربّـك بظـلام للعبيد .**

وإنني لأسأل اللّه أن يعينني على إخراج هذه الرسالة على الوجه الذي يرضيه ، وبالثوب الذي يليق بمقام شيخ الإسلام رحمه اللّه .

والمؤمن مرآة أخيه ، فمن وجد عيباً أو خطأً في النقل أو المفهوم فليساعدني على تقويمه بالحسنى ، واللّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

وصلى اللّه على نبيّنا محمد النبي الأميّ الهاشميّ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

العاشر من محرم
لعام ألف وأربعمائة وخمسة عشر
للهجرة النبويّة الشريفة
الموافق ١٩ / ٦ / ١٩٩٤م

وكتبه
محمد خير العبود

❁ ❁ ❁

تمهيد

بين يديّ الكتاب

لقد اعتاد النّاس أن يفتخروا بالمال والجاه والنسب والدين منذ قديم العصور ، ولكنّ أكثر ما يفتخرون به الأنساب والدين ، ولما كان الدين يربط بين المخلوق والخالق ، وبين العبد وملك الملوك ، فقد احتل المرتبة الأولى في المفاخرة بين الناس ، وصارت الأمم تفتخر بالأنبياء والرسل الذين حملوا التعاليم الإلهيّة إلى البشر .

ووصل الحال بهذه الأمم أن تزكي كل أمّة نفسها على بقية الأمم ، بل تتهم كل أمّة غيرها من الأمم بالضلال والبعد عن الحق ، يقول اللّه تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النّصارى على شيءٍ وقالت النصارى ليست اليهودُ على شيءٍ وهم يتلون الكتاب كذلكَ قال الذين لا يعلمون مثل قولِهم فاللّهُ يحكُم بينهم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيهِ يختلفون ﴾[1] .

فاليهود يدعون أنّهم على الحق وهم شَعْبُ اللّه المُختار ، والنصارى يدعون أنّهم على الحق وما سواهم على الباطل ، وحتى مشركوا العرب

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١٣ .

يدعون الأفضليّة لأنفسهم على غيرهم ، والصحيح أنّ الحق واحد لا إثنان، والذي يبيِّن طريق الحق هو اللَّه جلّ في علاه ، حيث يقول : ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ (١) .

فعبادة اللَّه وحده وعدم الإشراك به هي القاعدة الرئيسيّة التي قامت عليها الأديان السماويّة كلها ، وهي القاعدة الّتي يمكن أن يلتقي عليها أهل الأديان جميعاً ، وبهذه القاعدة يكون أتباع هذه الأديان مسلمين ، وذلك بالمعنى العام للإسلام ، وليس المعنى الخاص : ﴿ قل يا أهل الكتابِ تعالَوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أنْ لا نعبدَ إلا اللَّه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون اللَّه فإنْ تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٢) .

والقرآن الكريم قد أوضح السبل الكفيلة لجمع شتات الأمم والقضاء على الطائفيّة من جذورها حتى لا تنشب الحروب وتدمر الحضارات وتسفك الدماء .

ولقد كان لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي رحمه اللَّه باعاً طويلاً في المناظرات بين أهل الأديان كيف لا ،

---

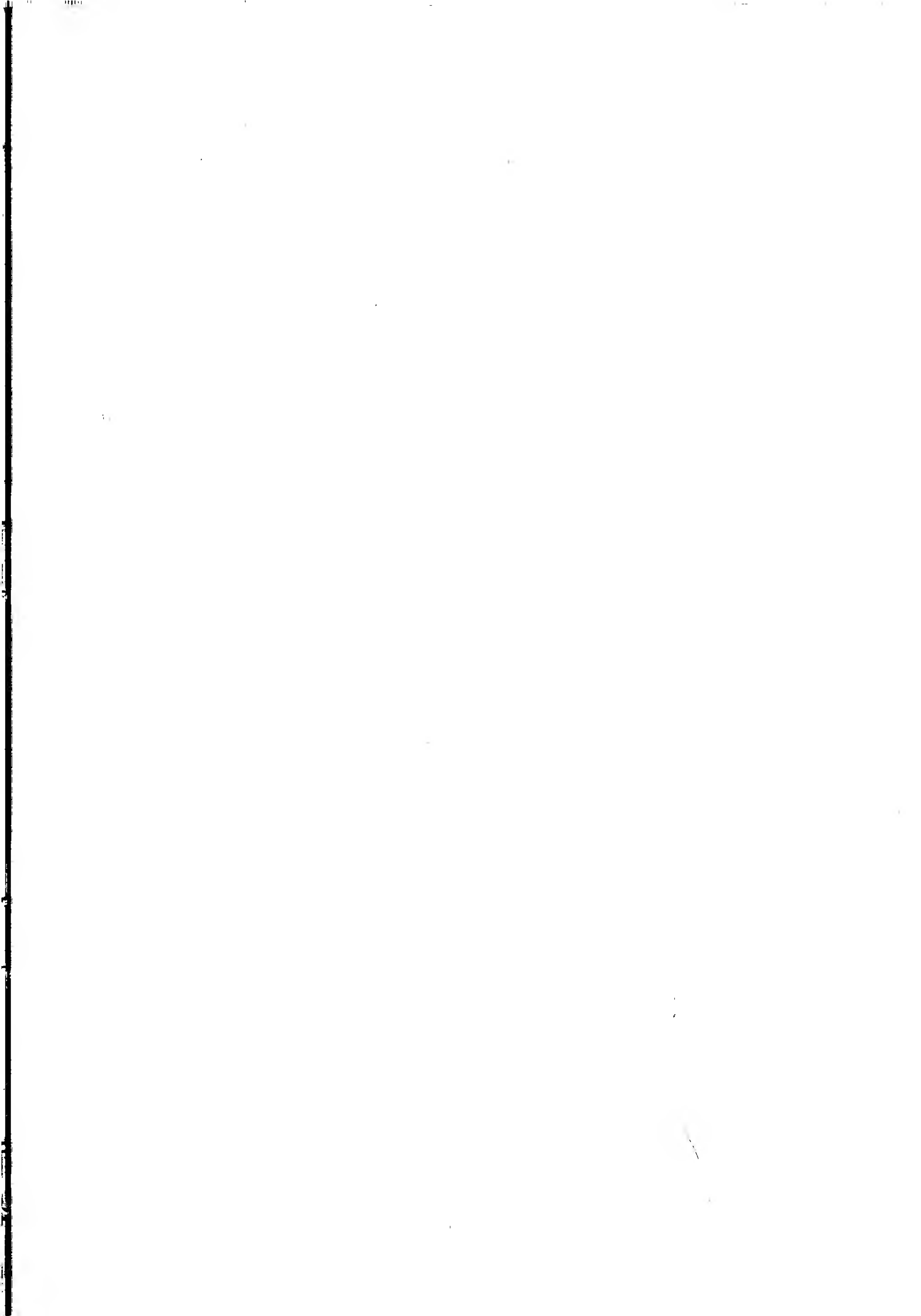
(١) سورة البقرة : الآية ١٣٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

وهو العالم الحجة الثبت الجهبـذ ، الـذي شـهد لـه الأعـداء قبـل الأصدقـاء بالورع والتقوى والزهد فيما عند الناس ، وعدم الخوف من لوم اللائميـن ، وشماتة الحاقدين في تبيان الحق وإظهار الدين .

فاخترت من كلامه ما يشرح الصدور ، ويزيل ظلام الجهـل بـالنور ، ويدحض بالحجة أباطيل أهل الغرور ، وهذا كلامُـه مـدون **فيما يلي من السطور** :





القاعدة الأولى

دين الأنبياء واحد وهو عبادة اللّه وحده

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه (٣ / ٨٩ - ٩٨) :

« ويجب الإيمان بأنّ اللّه أمر بعبادته وحده لا شريك له ، كما خلق الجنّ والإنس لعبادته ، وبذلك أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، وعبادته تتضمن كمال الذل والحب له ، وذلك يتضمن كمال طاعته ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع اللّه ﴾ .[١]

وقد قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللّه ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ويغفر لكم ذنوبكم ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾[٤] ، ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[٥] .

(١) سورة النساء : الآية ٨٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٤٥ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذين أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيّها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾[2] ، فأمر الرسل بإقامة الدين وأن لا يتفرّقوا فيه .

ولهذا قال النبي صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الصحيح :

« إنّا معشر الأنبياء ديننا واحد ، والأنبياء إخوة لِعَلاّت ، وإنّ أولى الناس بابن مريم لأنا ؛ إنّه ليس بيني وبينه نبي » .[3]

وهذا الدين هو دين الإسلام ، الذي لا يقبل اللّه دينا غيره ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، **فإنّ جميع الأنبياء على دين الإسلام** ، قال اللّه تعالى عن نوح : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إنْ كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات اللّه فعلى اللّه توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .[4]

---

(١) سورة الشورى : الآية ١٣ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٥١ .

(٣) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود .

(٤) سورة يونس : الآية ٧١ - ٧٢ .

وقال عن إبراهيم : ﴿ ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه ... ﴾ إلى قوله : ﴿ إذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ .(١)

وقال عن موسى : ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم باللّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾(٢) ، وقال في خبر المسيح : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ .(٣)

وقال فيمن تقدم من الأنبياء : ﴿ يحكم بها النبيون الذي أسلموا للذين هادوا ﴾(٤) ، وقال عن بلقيس أنها قالت : ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للّه رب العالمين ﴾ .(٥)

فالإسلام يتضمن الاستسلام للّه وحده ؛ **فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته** ، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر ، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده ، وطاعته وحده .

فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل اللّه غيره ؛ وذلك إنما يكون بأن

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٠ - ١٣٢ .

(٢) سورة يونس : الآية ٨٤ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١١١ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٥) سورة النحل : الآية ٤٤ .

يطاع في كل وقت ، بفعل ما أمر به في ذلـك الوقـت ؛ فـإذا أمـر فـي أول الأمر باستقبال الصخرة ، ثم أمرنـا ثانيا باسـتقبال الكعبـة ، كـان كـل مـن الفعلين حين أمر به داخلاً في الإسلام .

فالدين هو الطاعة والعبادة في الفعلين ؛ وإنما تنوع بعض صور الفعـل وهو وجـه المصلى ، فكذلـك الرسـل دينهـم واحـد وإن تنوعـت الشـرعة والمنهاج ، والوجه والمنسك ؛ فإنّ ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحـداً ، كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد .

واللّه تعالى جعل من دين الرسل : أنَّ أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن بـه، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به ، قال اللّه تعالى : ﴿ وإذ أخذ اللّه ميثـاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول اللّـه مصـدق لمـا معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .[1]

قال ابن عباس : لم يبعث اللّه نبيا إلا أخـذ عليـه الميثـاق ، لئـن بعـث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنّه ، وأمره أن يأخذ الميثـاق علـى أمّتـه ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمننّ به ولينصرنّه ، وقـال تعـالى : ﴿ وأنزلنـا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليـه فـاحكم بينهم بما أنزل اللّه ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحـق لكل جعلنا منكم

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٨١ .

شرعةً ومنهاجاً ﴾ .[1]

وجعل الإيمان متلازماً، وكفّر من قال : أنّه آمن ببعض وكفر ببعض، قال اللّه تعالى : ﴿ إنّ الذين يكفرون باللّه ورسله ويريدون أن يفرقوا بين اللّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... تعملون ﴾ .[3]

وقد قال لنا : ﴿ قولوا آمنا باللّه وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنّما هم في شقاق فسيكفيكهم اللّه وهو السميع العليم ﴾ .[4]

فأمرنا أن نقول : آمنّا بهذا كله ، ونحن له مسلمون ، **فمن بلغته رسالة محمد صلى اللّه عليه وسلم فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلماً ، ولا**

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٨٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٣٦ - ١٣٧ .

مؤمناً ، بل يكون كافرا وإن زعم أنّه مسلم أو مؤمن .[1]

كما ذكروا أنّه لما أنزل اللّه تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[2]، قالت اليهود والنصارى: فنحن مسلمون ، فأنزل اللّه : ﴿ وللّه على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ فقالوا : لا نحج ، فقال تعالى : ﴿ ومن كفر فإنّ اللّه غني عن العالمين ﴾ .[3]

فإن الاستسلام للّه لا يتم إلا بالإقرار بما له وما على عباده من حج البيت ، كما قال صلى اللّه عليه وسلم : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا اللّه وأنّ محمداً رسول اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » .[4]

ولهذا لما وقف النبي صلى اللّه عليه وسلم بعرفة أنزل اللّه تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام

---

(١) قلت : واليوم نرى أنّ بعض من يدّعون الإسلام ويريدون أن يساووا بين الأديان يقولون : إنّ القدس هي أرض لجميع المؤمنين باللّه يقصدون اليهود والنصارى وأهل الإسلام ، واللّه تعالى نعتهم بالكفر من قبل حيث يقول : ﴿ إنّ الذين كفروا من أهلِ الكتابِ والمشركين في نار جهنّم ﴾ ، ولم يعلموا أنّه من شكّ في كفر كافر فقد كفر !

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٤) أخرجه الشيخان وأهل السنن .

دينًا ﴾ .[1]

وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمّة موسى وعيسى ، هل هم مسلمون أم لا ؟ وهو نزاع لفظي ؛ فإن الإسلام الخاص الذي بعث اللّه به محمداً صلى اللّه عليه وسلم ، المتضمن لشريعة القرآن : ليس عليه إلا أمّة محمد صلى اللّه عليه وسلم ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا ، وأمّا الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث اللّه بها نبيّا فإنه يتناول إسلام كل أمّة متبعة لنبي من الأنبياء .

ورأس الإسلام مطلقاً[2] **شهادة أن لا إله إلا اللّه** ، وبها بعث جميع الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[4] ، وقال عن الخليل : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني فإنّه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون ﴾[5] ، وقال تعالى عنه : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) أي الإسلام الخاص والإسلام العام .

(٣) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٢٦ - ٢٨ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

ربّ العالمين ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون اللّه كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا باللّه ﴾[2]، وقال: ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ ؟

وذكر عن رسله : كنوح ، وهود ، وصالح ، وغيرهم أنهم قالوا لقومهم : ﴿ اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره ﴾ ، وقال عن أهل الكهف : ﴿ إنّهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فمن أظلم ممّن افترى على اللّه كذباً ﴾ .[3]

وقد قال سبحانه : ﴿ إنَّ اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[4] ، ذكر ذلك في موضعين من كتابه .

وقد بيّن في كتابه الشرك بالملائكة ، والشرك بالأنبياء ، والشرك بالكواكب ، والشرك بالأصنام ، – وأصل الشرك الشرك بالشيطان – فقال عن النصارى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّه والمسيح

---

(١) سورة الشعراء : الآية ٧٥ – ٧٧ .

(٢) سورة الممتحنة : الآية ٤ .

(٣) سورة الكهف : الآية ١٣ – ١٥ .

(٤) سورة النساء : الآية ٤٨ و ١١٦ .

ابـن مريـم ومـا أمـروا إلا ليعبـدوا إلهـاً واحـداً لا إلـه إلا هـو سـبحانه عمـا يشركون ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وإذ قال اللّـه يـا عيسى بـن مريـم أأنـت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون اللّه قال سبحانك ما يكـون لـي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلـم مـا فـي نفسـي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنـي بـه أن اعبدوا اللّه ربي وربكم ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه اللّـه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون اللّه ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبييـن أربابـاً أيـأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسـلمون ﴾[3] ، فبيـن اتخـاذ الملائكـة والنبييـن أربابـاً كفر .

ومعلوم أنَّ أحداً من الخلق لم يزعم أنَّ الأنبياء ، والأحبار ، والرهبان، والمسيح بن مريم ، شاركوا اللّه في خلق السموات والأرض .

بل ولا زعم أحد من الناس أنَّ العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال .

بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلهاً مساوياً في جميع صفاته .

بـل عامّة المشركين باللّه : مقرون بأنّه ليس شريكه مثله ، بل عامّتهم

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١١٦ - ١١٧ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٨٢ - ٨٣ .

يقرون أنّ الشريك مملوك له ، سواء كان ملكـاً ، أو نبيـاً ، أو كوكباً ، أو صنماً ، كما كان مشركوا العرب يقولون فـي تلبيتهـم : « لبيـك لا شـريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » ، فأهلَّ رسول اللّـه صلـى اللّه عليه وسلم بالتوحيد وقال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

وقد ذكر أرباب المقالات : ما جمعوا من مقالات الأولين والآخريـن في الملل والنحل ، والآراء والديانات ، فلم ينقلوا عن أحـد أثبـات شـريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ، ولا مماثل له في جميع الصفـات ، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية الذين يقولون بالأصلين « النـور » و « الظلمة » ، وأنّ النور خلق الخير ، والظلمة خلقت الشر .

ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين :

أحدهما : أنّها محدثة ، فتكون من جملة المخلوقات له .

والثاني : أنّها قديمة ، لكنها لم تفعل إلا الشر ، فكـانت ناقصـة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور .

وقـد أخبر سـبحانه عـن المشـركين مـن إقرارهـم بـأنّ اللّـه خـالق المخلوقات ما بيّنه في كتابه فقال : ﴿ ولئـن سـألتهم مـن خلـق السـموات والأرض ليقولُنَّ اللّه قل أفرأيتم ما تدعون من دون اللّه إن أرادنـي اللّـه بضـرّ هل هنّ كاشفات ضره أو أرادني برحمـة هـل هـنّ ممسـكات رحمتـه قـل

حسبي اللّه عليه يتوكل المتوكلون ﴾[(١)] ، وقال تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون للّه قل أفلا تذكّرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون للّه قل أفلا تتقون ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... فأنّى تسحرون ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... ما اتخذ اللّه من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان اللّه عمّا يصفون ﴾[(٢)] ، وقال : ﴿ وما يؤمن أكثرهم باللّه إلا وهم مشركون ﴾ .[(٣)]

وبهذا وغيره : يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد ، فإنّ عامّة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر : غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع .

فيقولون : هو واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له .

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو (توحيد الأفعال) وهو أنّ خالق العالم واحد ، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ، ويظنون أنّ هذا هو التوحيد المطلوب ، وأنّ هذا هو معنى قولنا لا إله إلا اللّه ، حتى قد يجعلوا معنى الإلهيّة القدرة على الاختراع .

---

(١) سورة الزمر : الآية ٣٨ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٨٤ - ٩١ .

(٣) سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

ومعلوم أنّ المشركين من العرب الذين بُعث إليهم محمد صلى اللّه عليه وسلم أولا : لم يكونوا يخالفونه في هذا ، بل كانوا يقرون بأنّ اللّه خالق كل شيء ، حتى إنّهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً ، وهم مع هذا مشركون .

فقد تبيّن أن ليس في العالم ما ينازع في أصل هذا الشرك ؛ ولكن غاية ما يقال : إنّ من الناس من جعل بعض الموجودات خلقاً لغير اللّه ، كالقدريّة وغيرهم ، لكن هؤلاء يقرون بأنّ اللّه خالق العباد ، وخالق قدرتهم ، وإن قالوا أنّهم خلقوا أفعالهم » .

وقال في موضع آخر متمّماً لكلامه (٣ / ١٠٤ - ١١٠) :

« فهذا أصل عظيم ، على المسلم أن يعرفه ؛ فإنّه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر ، وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة : شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وأنّ محمداً رسول اللّه .

وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين ، أو أحدهما مع ظنه أنّه في غاية التحقيق والتوحيد ، والعلم والمعرفة .

فإقرار المشرك بأنّ اللّه رب كل شيء ، ومليكه وخالقه : لا ينجيه من عذاب اللّه ، إن لم يقترن به إقراره بأنّه لا إله إلا اللّه ، فلا يستحق العبادة أحد إلا هو ؛ وأنّ محمداً رسول اللّه ، فيجب تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، فلا بد من الكلام في هذين الأصلين :

الأصل الأول :

توحيد الإلهيّة .

فإنّه سبحانه أخبر عن المشركين كما تقدم بأنّهم أثبتوا وسائط بينهم وبين اللّه ، يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون إذن اللّه ، قال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون اللّه ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه قل أتنبؤون اللّه بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عمّا يشركون ﴾[1] ، فأخبر أنَّ هؤلاء الذين اتخذوا هؤلاء شفعاء مشركون .

وقال تعالى عن مؤمن يس : ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون إنّي إذاً لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنّهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾[3] ، فأخبر سبحانه عن شفعائهم أنّهم زعموا أنّهم فيهم شركاء ، وقال تعالى : ﴿ أم

---

(١) سورة يونس : الآية ١٨ .

(٢) سورة يس : الآية ٢٢ - ٢٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

اتخذوا من دون اللّه شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قـل للّه الشفاعة جميعاً لـه ملـك السـموات والأرض ثـم إليـه ترجعـون ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾[2] ، وقـال تعـالى : ﴿ وأنذر به الّذين يخافونَ أن يُحشروا إلى ربهم ليـس لهـم مـن دونـه ولـيّ ولا شفيع ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ مَن ذا الذي يَشفعُ عندَه إلا بإذنِه ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانَه بـل عباد مكرمـون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بيـن أيديهـم ومـا خلفَهـم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشـيته مشـفقون ﴾[5] ، وقـال تعـالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تُغني شفاعتُهم شيئاً إلا من بعد أن يـأذنَ اللّهُ لمن يشاء ويرضى ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ قل ادْعوا الذين زعمتُم مـن دونِ اللّهِ لا يملكون مثقالَ ذرّةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ وما لهم فيهما من شركٍ وما لهم منهم مـن ظهـير . ولا تنفـع الشـفاعةُ عنـده إلا لمـن أذن له ﴾[7] ، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونِه فلا يملكون

---

(١) سورة الزمر : الآية ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة السجدة : الآية ٤ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٥١ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٢٦ - ٢٨ .

(٦) سورة النجم : الآية ٢٦ .

(٧) سورة سبأ : الآية ٢٢ - ٢٣ .

كشف الضُّرِّ عنكم ولا تحويلاً أولئكَ الذين يدعُون يبتغونَ إلى ربهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ ويرجون رحمتهُ ويخافونَ عذابه إنَّ عذابَ ربك كانَ محذوراً ﴾[1] .

قالت طائفة من السلف : كان قوم يدعون العزيز والمسيح والملائكة فأنزل اللّه هذه الآية يبين فيها أنَّ الملائكة والأنبياء يتقرّبون إلى اللّه ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

ومن تحقيق التوحيد : أنْ يعلم أن اللّه أثبت له حقاً لا يشركه فيه مخلوق ؛ كالعبادة والتوكل ، والخوف والخشية ، والتقوى ، وكما قال تعالى : ﴿ لا تجعل مع اللّهِ إلهاً آخر فتقعدَ مذموماً مخذولاً ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبد اللّه مخلصاً له الدين ﴾[3] ، وقال تعالى : قل إني أُمرت أن أعبدَ اللّهَ مخلصاً له الدين ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ قل أفغيرَ اللّه تأمُرُونّي أعبدُ أيّها الجاهلون ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... الشاكرين ﴾[5] ، وكل من الرسل يقول لقومه : ﴿ اعبدوا اللّه ما لكم من إلهٍ غيرُه ﴾ .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٦ - ٥٧ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٢ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٢ .

(٤) سورة الزمر : الآية ١١ .

(٥) سورة الزمر : الآية ٦٤ - ٦٦ .

وقد قال تعالى في **التوكل** : ﴿ وعلى اللّهِ فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ ، ﴿ وعلى اللّهِ فليتوكل المؤمنون ﴾ ، وقال : ﴿ قل حسبي اللّه عليه يتوكّلُ المتوكلون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولو أنّهم رضوا ما آتاهم ورسولُه وقالوا حسبُنا اللّهُ سيؤتينا اللّهُ من فضلِه ورسولِه إنّا إلى اللّهِ راغبون ﴾ [1] .

فقال في **الإتيان** : ﴿ ما آتاهم اللّه ورسوله ﴾ ، وقال في التوكل : ﴿ وقالوا حسبنا اللّه ﴾ ، ولم يقل : ورسوله ؛ لأنَّ الإتيان هو الإعطاء الشرعي ، وذلك يتضمن الإباحة والإحلال ، الذي بلغه الرسول ، فإنّ الحلال ما أحلّه ، والحرام ما حرّمه والدين ما شرعه ، قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسولُ فخذُوه وما نَهاكُم عنه فانتهوا ﴾ [2] .

وأمّا الحسْب فهو الكافي ، واللّه وحده كافٍ عبده ، كما قال تعالى: ﴿ الذين قالَ لهُم النّاسُ إنّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشَوهُم فزادَهُم إيماناً وقالوا حسبُنا اللّهُ ونِعمَ الوكيل ﴾ [3] ، فهو وحده حسْبُهم كلهم ، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها النبي حسبُك اللّه ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ [4] ، أي حسبك وحسب من اتّبعكَ من المؤمنين هو اللّه ، فهو كافيكُم كلكم .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٥٩ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٦٤ .

وليس المرادُ أنّ اللّهَ والمؤمنين حسْبك ، كما يظنّه بعض الغالطين ، إذ هو وحده كاف نبيه ، وهو حسبه ، ليس معه من يكون هو وإيّاه حسباً للرسول وهذا في اللغة كقول الشاعر :

* فحسبُك والضَّحاكُ سيف مهنّد *

وتقول العرب : حسبك وزيداً درهم ، أي يكفيك وزيداً جميعاً درهم .

وقال في **الخوف والخشية والتقوى** : ﴿ ومن يطع اللّه ورسوله ويخشَ اللّهَ ويتّقه فأولئك هم الفائزون ﴾[1] ، فأثبت الطاعة للّه والرسول، وأثبت الخشية والتقوى للّه وحده ، كما قال نوح عليه السلام : ﴿ إنّي لكم نذيرٌ مبينٌ . أن اعبدوا اللّه واتقوه وأطيعون ﴾[2] ، فجعل العبادة والتقوى للّه وحده ، وجعل الطاعة للرسول ؛ فإنّه من يطع الرسول فقد أطاع اللّه .

وقد قال تعالى : ﴿ فلا تخشوا النّاس واخشون ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[4]، وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنّكم أشركتم باللّهِ ما لَم يُنزِّل به

---

(١) سورة النور : الآية ٥٢ .

(٢) سورة نوح : الآية ٢ - ٣ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٥ .

عليكُم سلطاناً فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمنِ إن كنتُم تعلمون الذين آمنوا ولم يَلبسوا إيمانَهم بظلمٍ أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون ﴾ [١] .

وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود أنَّه قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، وقالوا : وأيُّنا لم يظلم نفسَه ؟ فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم :

« إنَّما هو الشّرك أولم تسمعوا إلى قول العبد الصّالح : إنّ الشرك لظلمٌ عظيمٌ ؟ » .

وقال تعالى : ﴿ فإيّاي فارهبون ، وإيّاي فاتّقون ﴾ .

ومن هذا الباب أنَّ النبي صلى اللَّه عليه وسلم كان يقول في خطبته :

« من يطع اللَّه ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنّه لا يضر إلا نفسه ، ولن يضرّ اللَّه شيئاً » . [٢]

---

(١) سورة : الآية ٨١ - ٨٢ .

(٢) قال أبو أحمد : لقد وقع خطأ في كلام الشيخ ابن تيمة ولا أدري إن كان منه أو ممن نقلوا عنه في « المجموع » ، حيث أورد في الحديث :

« ومن يعصهما فإنّه لا يضر إلا نفسه » ، وهذا خلاف لما ثبت عنه صلى اللّه عليه وسلم من النهي الصريح عن ذلك كما جاء في « صحيح مسلم» ، وأبي داود ، والنسائي ، عن عدي بن حاتم رضي اللّه عنه قال : « أنّ رجلاً خطب عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال : من يطع اللّه ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى ، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « بئس الخطيب أنت ؛ قل ومن يعص اللّه ورسوله » .

وقال : « ولا تقولوا ما شاء اللّه وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء اللّه ثم شاء محمد » .[1]

ففي **الطاعة** : قرن اسم الرسول باسمه بحرف الواو ، وفي المشيئة : أمر أن يجعل ذلك بحرف ثم ، وذلك لأنّ طاعة الرسول طاعة للّه ، فمن أطاع الرسول فقد أطاع اللّه ، وطاعة اللّه طاعة الرسول ، بخلاف المشيئة فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة للّه ، ولا مشيئة اللّه مستلزمة لمشيئة العباد ، بل ما شاء اللّه كان ، وإن لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ اللّه .

* * *

الأصلُ الثاني :

حقُّ الرسول صلى اللّه عليه وسلم .

فعلينا أن نؤمن به ونطيعه ونتبعه ، ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه ، وأمثال ذلك ، قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع اللّه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ واللّه ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من اللّه ورسوله

---

(١) رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ،وذكره الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (٧٢٨٣) وقال : حديث صحيح .

وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي اللّه بأمره ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ﴾ وأمثال ذلك » .

❀ ❀ ❀

(١) سورة التوبة : الآية ٢٤ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .

القاعدة الثانية

الالتزام بالكتاب السماوي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه (٢٠ / ١٠٥ - ١٠٧) :

« إنّ ضلال بني آدم وخطأهم في أصول دينهم وفروعه إذا تأمّلته تجد أكثره من عدم التصديق بالحق ؛ لا من التصديق بالباطل ، فما من مسألة تنازع الناس فيها في الغالب إلا وتجد ما أثبته الفريقان صحيحاً ، وإنّما تجد الضلال وقع من جهة النفي والتكذيب .

مثال ذلك : أنَّ الكفار لم يضلوا من جهة ما أثبتوه من وجود الحق ، وإنّما أتوا من جهة ما نفوه من كتابه وسنّة رسوله وغير ذلك ، وحينئذ وقعوا في الشرك ، **وكل أمَّة مشركة أصل شركها عدم كتاب منزّل من السماء ، وكل أمّة مخلصة أصل إخلاصها كتاب منزل من السماء** ، فإنَّ بني آدم محتاجون إلى شرع يكمل فطرهم ، فافتتح اللّه الجنس بنبوّة آدم ، كما قال تعالى : ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ﴾ ، وهلمّ جرّا ...

فمن خرج عن النبوات وقع في الشرك وغيره ، وهذا عام في كل كافر غير كتابي فإنّه مشرك ، وشركه لعدم إيمانه بالرسل الذين قال

اللّه فيهم : ﴿ ولقد بعثنا في كلِّ أمّةٍ رسولاً أن اعبُدوا اللّهَ واجتنبوا الطاغوت ﴾ . (١)

ولم يكن الشرك أصلاً في الآدميين ، بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد للّه ، لاتباعهم النبوة ، قال تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمّة واحدة فاختلفوا ﴾ (٢) .

قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، **فبتركهم اتباع شريعة الأنبياء وقعوا في الشرك ، لا بوقوعهم في الشرك خرجوا عن شريعة الإسلام** ، فإنَّ آدم أمرهم بما أمره اللّه به ، حيث قال له : ﴿ فإمّا يأتينّكم مني هُدىً فمن تَبِع هُداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحابُ النّار هُم فيها خالدون ﴾ (٣) .

وقال في الآية الأخرى : ﴿ فمن تَبِعَ هُدايَ فلا يَضلُّ ولا يَشقى . ومَن أعرضَ عن ذِكري فإنَّ له مَعيشَةً ضَنْكاً . ونحشُرُه يومَ القيامَة أعمى . قال ربِّ لمَ حشَرتني أعمى وقَد كُنتُ بصيراً . قال كذلكَ أتتكَ آياتُنا فنَسيتَها وكذلكَ اليومَ تُنسى ﴾ . (٤)

---

(١) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٢) سورة يونس : الآية ٢٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٨ - ٣٩ .

(٤) سورة طه : الآية ١٢٣ - ١٢٦ .

فهذا الكلام الذي خاطب اللّٰه به آدم وغيره لمّا أهبطهم قد تضمّن أنّه أوجب عليهم اتباع هداه المنزّل ، وهو الوحي الوارد على أنبيائه ، وتضمّن أنّ من أعرض عنه وإن لم يكذب بـه فإنّـه يكـون يـوم القيامـة فـي العـذاب المهين ، وإنّ معيشته تكون ضَنكًا في هذه الحياة ، وفي البرزخ والآخـرة ، وهي المضنوكة النكدة المحشوّة بأنواع الهموم والغموم والأحزان كما أنَّ الحياة الطيبة هي لمن آمن وعمل صالحاً » .



القاعدة الثالثة

اتباع الأنبياء والمرسلين

الأنبياء المرسلون يشكلون علاقة الصلة بين الخالق والمخلوقين ، وبين المعبود والعابدين ، يحملون معهم إرشادات نورانيّة كفيلة لهداية البشرية ، وهم قادة لسفينة النجاة ، شعارهم واحد ، وهدفهم واحد ، وطريقهم واحد ، عصبةٌ واحدة ، وسلسلة متكاملة ، من آمن بأحدهم توجب عليه أن يؤمن ببقيّتهم بل ويتبع خاتمهم صلوات ربي عليه وعلى جميع إخوانه المرسلين ، وحول هذا الموضوع قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢٠ / ١٠٧ - ١١٠) :

« فمن تمسّك به فإنّه لا يشرك بربه ، فإنّ الرسل جميعهم أُمِرُوا بالتوحيد وأَمَروا به ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، فبيّن أنه لا بدَّ أن يوحي بالتوحيد إلى كل رسول ، وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دونِ الرّحمنِ آلهةً يعبدون ﴾ ،فبيّن أنه لم يشرع الشرك قط ، فهذان النصان قد دلا على أنّه أمر بالتوحيد لكل رسول ، ولم يأمر

بالإشراك قط ، وقد أمر آدم وبنيه من حين أُهبط باتباع هـداه الـذي يوحيـه إلى الأنبياء ، **فثبت أنّ علّة الشرك كـان مـن تـرك اتبـاع الأنبيـاء والمرسـلين فيما أمروا به من التوحيد والدين ، لا أنّ الشرك كان علّـة للكفـر بالرسـل ،** فإنّ الإشراك والكفر بالرسل متلازمان في الواقع ، فهذا في الكفار بالنبوات المشركين .

وأمّا أهل الكتاب ، فإنّ اليهود لم يؤتوا من جهة ما أقروا به مـن نبـوّة موسى والإيمان بالتوراة ، بل هم في ذلك مهتـدون ، وهـو رأس هداهـم ، **وإنّما أُتوا من جهة مالم يقروا به من رسالة المسيح ومحمد صلى اللّـه عليـه وسـلم** ، كمـا قـال تعـالى فيهـم : ﴿ فبـاءوا بغضـب علـى غضـب ﴾[1] ، غضب بكفرهم بالمسيح ، وغضب بكفرهم بمحمد صلى اللّه عليه وسلم، وهذا من باب ترك المأمور به .

وكذلك النصارى لم يؤتوا من جهة مـا أقـروا بـه مـن الإيمـان بأنبيـاء بني إسرائيل والمسيح ، وإنّمـا أُتـوا مـن جهـة كفرهـم بمحمّـد صلـى اللّـه عليه وسلم ، وأمّـا مـا وقعوا فيـه مـن التثليـث والاتحـاد الـذي كفـروا فيـه بالتوحيد والرسالة ، فهو من جهة عدم اتبـاعهـم لنصـوص التـوراة والإنجيـل المحكمـة ، التـي تـأمر بعبـادة اللّـه وحـده لا شـريك لـه ، وتبيّـن عبوديّــة المسيح وأنّه عبدٌ للّه ، كما أخبر اللّه عنه بقوله : ﴿ مـا قلت لهم إلا مـا

---

(١) سورة البقرة : الآية ٩٠ .

أمرتني بـه أن اعبدواللَّه ربي وربكم وكنت عليهـم شـهيدا مـا دمـت فيهـم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شـهيد ﴾[1] ؛ فلمّا تركوا اتباع هـذه النصـوص إيمانـا وعمـلاً وعندهـم رغبـة فـي العبـادة والتألّـه ابتدعـوا الرهبانيـة ، وغلـوا فـي المسـيح هـوى مـن عنـد أنفسـهـم ، وتمسكوا بمتشابه من الكلمات لظن ظنوه فيها ، وهوى اتبعوه خـرج بهـم عن الحـق ، فهم : ﴿ إن يتبعون إلا الظنَّ وما تهوى الأنفسُ ولقـد جـاءَهُم من ربهم الهدى ﴾[2] ، ولهذا كان سيماهم الضلال ، كمـا قـال تعـالى : ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلـوا كثيراً وضلوا عـن سـواءِ السَّبيل ﴾ .[3]

والضال ضد المهتدي ، وهـو العـادل عـن طريـق الحـق بـلا علـم ، وعدم العلم المأمور به والهدى بالمأمور ترك واجب ، **فـأصل كفرهـم تـرك الواجب** ، وحينئذ تفرقـوا فـي التثليـث والاتحـاد ، ووقعـت بينهـم العـداوة والبغضـاء ، وصـاروا ملكيـة ، ويعقوبيـة ، ونسـطوريّة ، وغـيرهم ، وهـذا المعنى قد بيّنه القرآن مع أنَّ هذا يصلح أن يكون دليلاً مستقلا ؛ لما فيه من بيان أنَّ ترك الواجب سبب لفعل المحرم ، قال تعالى : ﴿ ومن الذين قـالوا إنّـا نصارى أخذنـا ميثاقهم فنسوا حظّاً مما ذكروا بـه فأغرينا بينهم العداوة

---

(١) سورة المائدة : الآية ١١٧ .

(٢) سورة النجم : الآية ٢٣ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٧ .

والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ . (١)

فهذا نص في أنّهم تركوا بعض ما أمروا به ، فكان تركه سبباً لوقوع العداوة والبغضاء المحرمين ، وكان هذا دليلاً على أنَّ ترك الواجب يكون سبباً لفعل المحرّم ، كالعداوة ، والبغضاء ، والسبب أقوى من المسبب .

وكذلك قال في اليهود : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذُكِّروا به ﴾ (٢)، فنقض الميثاق ترك ما أمروا به ؛ فإنَّ الميثاق يتضمن واجبات ، وهي قوله : ﴿ ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً وقال اللّه إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم اللّه قرضاً حسناً لأكفرنّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنّكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواءَ السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ... ﴾ (٣) الآيات .

فقد أخبر تعالى أنّه بترك ما أوجبه عليهم من الميثاق وإن كان واجباً

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١١ - ١٣ .

بالأمر حصلت لهم هذه العقوبات التي منها فعل هذه المحرمات ؛ من قسوة القلوب ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وأنّهم نسوا حظاً مما ذكِّروا به .

وأخبر في أثناء السورة أنَّه ألقى بينهم العداوة والبغضاء في قوله : ﴿ وقالت اليهود يد اللّه مغلولة غُلَّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ... ﴾الآية .[1]

وقد قال المفسرون من السلف مثل قتادة وغيره في فرق النصارى ما أشرنا إليه .

وهكذا إذا تأمّلت أهل الضلال والخطأ من هذه الأمة تجد الأصل ترك الحسنات لا فعل السيئات ، وأنّهم فيما يثبتونه أصل أمرهم صحيح ، وإنّما أُتوا من جهة ما نفوه ، والإثبات فعل حسنة والنفي ترك سيئة ، فعلم أنَّ ترك الحسنات أضر من فعل السيّئات ، وهو أصله » .[2]

---

(١) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٢) قلت : وهذه الأمة لما تركت شريعة اللّه وتحاكمت إلى غيرها من شرائع البشر من اليهود والنصارى وغيرهم ، ونسيت ما أنزل اللّهُ على محمد صلى اللّه عليه وسلم ، حلت عليها العقوبات كما حصل لليهود والنصارى من قبل ، فآل حالها إلى ذلٍّ وهوان وضعف وتشتت وصارت أمَّة تابعة بعد أن كانت أمّة للقيادة والريادة والخيرية ، وصدق الخليفة الراشد عمر الفاروق رضي اللّه عنه حين قال :

« نحن أمَّة أعزّنا اللّه بالإسلام فإذا ابتغينا العزّة في غيره أذلّنا اللّه » .

....



= فاتباع الأمر أصل عام ، واجتناب المنهي عنه فرعٌ خاصٌ .

أخرج مسلم في « صحيحه » عن عياض بن حمار عن النبيْ صلى اللّـه عليـه وسـلم ، فيما يرويه عن ربّه قال :

« إني خلقت عبادي حنفـاء فاجتـالتهم الشـياطين عـن دينهـم ، وحرَّمَـت عليهـم مـا أحللت لهم ، وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزِّل به سلطاناً » .

ولقد ظهر أثر هذين الذنبين في المنحرفة مـن العلمـاء ، والعبـاد والحكـام والعامـة ، بتحريم ما أحلّه اللّه تعالى ، والتّديُّن بنوع شرك لم يشرعه اللّه تعالى .

القاعدة الرابعة

العلم مع العمل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه (٧ / ٦٢٣ - ٦٣٤) :

« قد ذكرت فيما تقدم من القواعد : أن (**الإسلام**) الذي هو دين اللّه ، الذي أنزل به كتبه ؛ وأرسل به رسله ، وهو أن يسلم العبد للّه رب العالمين ؛ فيستسلم للّه وحده لا شريك له ، ويكون سالماً به بحيث يكون متألّها له غير متألّه لما سواه ، كما بينته أفضل الكلام ورأس الإسلام : **وهو شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وله ضدّان :**

الكبر والشرك .

ولهذا روي أنَّ نوحاً عليه السلام أمر بنيه بلا إله إلا اللّه ، وسبحان اللّه ، ونهاهم عن الكبر والشرك ، في حديث قد ذكرته في غير هذا الموضع ، فإنّ المستكبر عن عبادة اللّه لا يعبده فلا يكون مستسلماً له والذي يعبده ويعبد غيره يكون مشركاً به فلا يكون سالماً له ، بل يكون له فيه شرك .

ولفظ (**الإسلام**) يتضمن الاستسلام والسلامة التي هي الإخلاص ،

وقد علم أنَّ الرسل جميعهم بعثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك كما قال تعالى : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾[1] ، وقال موسى : ﴿ إنْ كنتم آمنتم باللّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ بلى من أسلم وجهه للّه وهو محسن فله أجره عند ربّه ﴾[3] ، وقال الخليل لما قال له ربه : ﴿ أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوب - أيضاً وصى بها بنيه - يا بنيّ إنَّ اللّه اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾[4] ، وقال يوسف : ﴿ توفني مسلماً ﴾[5] ، ونظائره كثيرة .

وعُلِم أنّ إبراهيم الخليل هو إمام الحنفاء المسلمين بعده كما جعله أمّة وإماماً ، وجاءت الرسل من ذريّته بذلك ، فابتدعت اليهود والنصارى ما ابتدعوه مما خرج بهم عن دين اللّه الّذي أُمروا به وهو الإسلام العام ، ولهذا أمرنا أن نقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

وقد ثبت عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنّه قال :

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة يونس : الآية ٨٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١١٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٣٠ - ١٣٢ .

(٥)سورة يوسف : الآية ١٠١ .

« اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون » .[1]

وكل من هاتين الأمتين خرجت عن الإسلام ، وغلب عليها أحد ضديه :

فاليهود : يغلب عليهم الكبر ، ويقل فيهم الشرك .

والنصارى : يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر .

وقد بين اللّه ذلك في كتابه فقال في اليهود : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا اللّه ... ﴾ ، وهذا هو أصل الإسلام ، إلى قوله : ﴿ ... وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيّدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون ﴾ .[2]

وهذا اللفظ الذي هو لفظ الاستفهام ؛ هو إنكار لذلك عليهم ، وذم لهم عليه ، وإنّما يذمون على ما فعلوه ، فعلم أنّهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ، فيقتلون فريقاً من الأنبياء ويكذبون فريقاً ، وهذا حال المستكبر ، الذي لا يقبل مالا يهواه ؛ فإنّ النبي صلى اللّه عليه وسلم قد فسّر الكبر في الحديث الصحيح بأنّه بطر الحق وغمط الناس .

---

(١) رواه الترمذي وذكره الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (٨٠٥٨) وقال : حديث صحيح .

(٢) سورة البقرة : الآية ٨٧ .

ففي « صحيح مسلم » عن عبدالله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ولا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » .

فقال رجل : يا رسول الله ! الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً ، أفمن الكبر ذاك ؟

فقال : « لا ؛ إنَّ الله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر بطر الحق ، وغمط الناس » . [1]

وبطر الحق جحوده ودفعه ، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم .

وكذلك ذكر الله (**الكبر**) في قوله بعد أن قال : ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء ... ﴾ إلى أن قال : ﴿ ... سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ﴾ [2] ، **وهذا حال الذي لا يعمل بعلمه** ؛ بل يتبع هواه وهو الغوي كما قال : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والطبراني .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٤٦ .

واتبع هواه ... ﴾[1] الآية ، وهذا مثل علماء السوء ، وقد قال لما رجع موسى إليهم : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾[2] ، فالذين يرهبون ربهم ؛ خلاف الذين يتبعون أهواءهم كما قال تعالى : ﴿ وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإنَّ الجنة هي المأوى ﴾ .[3]

فأولئك المستكبرون المتبعون أهواءهم مصروفون عن آيات اللّه لا يعلمون ، ولا يفهمون ، لما تركوا العمل بما علموه استكباراً واتباعاً لأهوائهم عوقبوا بأن منعوا الفهم والعلم ، **فإنَّ العلم حرب للمتعالي ، كما أنَّ السيل حرب للمكان العالي** ، والذين يرهبون ربّهم عملوا بما علموه ، فأتاهم اللّه علماً ورحمة ، إذ من عمل بما علم أورثه اللّه علم مالم يعلم ، ولهذا لما وصف اللّه النصارى : ﴿ بأنّ منهم قسيسين ورهباناً ﴾ ، والرهبان : من الرهبنة ، ﴿ وأنّهم لا يستكبرون ﴾ كانوا بذلك أقرب مودة إلى الذين آمنوا ، كما قال : ﴿ ولتجدنَّ أقربهم مودّة للذين آمنواالذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنَّ منهم قسيسين ورهباناً وأنّهم لا يستكبرون ﴾ .[4]

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٤ .

(٣) سورة النازعات : الآية ٤٠ - ٤١ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٨٢ .

فلما كان فيهم رهبة ، وعدم كبر ؛ كانوا أقرب إلى الهدى ، فقال في حق المسلمين منهم :﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾[1] .

قال ابن عباس : مع محمد وأمَّته ، وهم الأمة الشهداء ، فإنَّ النصارى لهم قصد وعبادة ، وليس لهم علم وشهادة ؛ **ولهذا فإنْ كان اليهود شراً منهم ؛ بأنَّهم أكثر كبراً وأقل رهبة ، وأعظم قسوة ، فإنَّ النصارى شرّ منهم ؛ فإنَّهم أعظم ضلالاً ، وأكثر شركاً ، وأبعد عن تحريم ما حرّم اللَّه ورسوله .**

وقد وصفهم اللَّه بالشرك الذي ابتدعوه ، كما وصف اليهود بالكبر الذي هووه فقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللَّه والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وإذ قال اللَّه يا عيسى بن مريم أأنت قلتَ للنَّاسِ اتخذوني وأمي إلهينِ من دونِ اللَّهِ قالَ سبحانَكَ ما يكُونُ لي أن أقولَ ما ليسَ لي بحقّ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... أن اعبدوا اللَّه ربي وربكم ... ﴾ الآية ، وقد ذكر اللَّه قولهم : أنَّ اللَّهَ هو المسيح بن مريم ،

---

(١) سورة المائدة : الآية ٨٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣١ .

وأنّ اللّه ثالث ثلاثة ، وقولهم : اتخذ اللّهُ ولداً ؛ في موضع من كتابه ، وبين عظيم فريتهم وشتمهم للّه ، وقولهم (الإدّ) الذي : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرُّ الجبالُ هدّاً ﴾[1] ، ولهذا يدعوهم في غير موضع إلى أن لا يعبدوا إلا إلهاً واحداً ، كقوله : ﴿ يا أهل الكتابِ لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على اللّه إلا الحق ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنّما اللّه إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً للّه ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ﴾[2] ، وهذا لأنّ المشركين بمخلوق من البشر أو غيرهم يصيرون هم مشركون ، ويصير الذين أشركوا به من الإنس والجن مستكبراً ، كما قال : ﴿ وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجنِّ فزادوهم رهَقاً ﴾[3] ، فأخبر اللّه أنَّ عباده لا يستكبرون عن عبادته وإن أشرك بهم المشركون ، وكذلك قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنَّ اللّه ثالث ثلاثة وما من إله إلا اله واحد ... ﴾ إلى قوله ﴿ ... ما المسيحُ بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأُمُّه صديقة ﴾[4]

---

(١) سورة مريم : الآية ٩٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧١ - ١٧٢ .

(٣) سورة الجن : الآية ٦ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٧٣ - ٧٥ .

الآية ، وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنَّ اللَّه هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا اللَّه ربي وربكم إنَّه من يشرك باللَّه فقد حرَّم اللَّه عليه الجنَّة ﴾[1] ، فأخبر أنَّه أمرهم بالتوحيد ونهاهم عن أن يشركوا به ، أو بغيره كما فعلوه .

ولما كان أصل دين اليهود الكبر عاقبهم بالذلّة : ﴿ ضُرِبَت عليهم الذلّةُ أينما ثُقفوا ﴾ .

ولما كان أصل دين النصارى الإشراك لتعديد الطرق إلى اللَّه أضلهم عنه ؛ فعوقب كل من الأمتين على ما اجترمه بنقيض قصده : ﴿ وما ربُّك بظلامٍ للعبيد ﴾ ، كما جاء في الحديث :

« يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس بأرجلهم » .[2]

وكما في الحديث عن عمر بن الخطاب موقوفاً ومرفوعاً :

« ما من أحد إلا في رأسه حكمة فإن تواضع قيل له : انتعش نعشك اللَّه ، وإن رفع رأسه قيل له : انتكس نكسك اللَّه » .[3]

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وحسنه الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (٧٨٩٦) .

(٣) ذكره الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨ / ٨٥) وقال : رواه أحمد =

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ بلى قد جاءتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على اللّه وجوههم مسودّة . أليس في جهنّم مثوىً للمتكبرين وينجّي اللّه الذين اتقو بمفازتهم ﴾ .[2]

ولهذا استوجب الغضب والمقت ، والنصارى لما دخلوا في البدع أضلهم عن سبيل اللّه فضلوا عن سبيل اللّه وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وهم إنّما ابتدعوها ليتقرّبوا بها إليه ويعبدوه ، فأبعدتهم عنه وأضلتهم عنه وصاروا يعبدون غيره .

فتدبر هذا واللّه تعالى يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم والضالين .

= والبزار والطبراني في « الأوسط » .

ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح ، وفي سند الطبراني سعيد بن سلام العطار وهو كذاب .

قلت : ويشهد له حديث ابن عباس عند الطبراني : « ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد مَلَك ، فإذا تواضع قيل للملَك : ارفع حكمته، وإذا تكبّر قيل للملَك : دع حكمته » . وقد حسّنه الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (٥٥٥) .

(١) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٩ - ٦٠ .

وقد وصف بعض اليهود بالشرك ، في قوله : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن اللّه ﴾ [1] ، وفي قوله :﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند اللّه من لعنه اللّه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدَ الطاغوت ﴾ [2] ، ففي اليهود من عبد الأصنام ، وعبد البشر ؛ وذلك أنَّ المستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل ، فيكون المستكبر مشركاً ، كما ذكر اللّه عن فرعون وقومه : أنّهم كانوا مع استكبارهم وجحودهم مشركين ، فقال عن مؤمن آل فرعون : ﴿ ويا قومِ مالي أدعوكُم إلى النّجاةِ وتدعونني إلى النار . تدعونني لأكفرَ باللّهِ وأشركَ به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار . لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾ [3] ، وقال : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ... ﴾ [4] الآية ، وقال يوسف الصِّدِّيق لهم : ﴿ يا صاحبي السجن أأربابٌ متفرِّقون خير أم اللّه الواحد القهّار . ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سمّيتموها أنتم وآباؤُكم ما أنزلَ اللّهُ بها من سُلطان إن الحُكم إلاّ للّه أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاهُ ذلك الدِّينُ القيِّمُ ولكنَّ أكثر النّاس لا يعلمون ﴾ [5]،

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٠ .

(٣) سورة غافر : الآية ٤١ - ٤٣ .

(٤) سورة غافر : الآية ٣٤ .

(٥) سورة يوسف : الآية ٣٩ - ٤٠ .

وقد قال تعالى :﴿وقال الملأُ من قوم فرعون أتـذَر موسـى وقومـه ليفسـدوا في الأرض ويذرك وآلهتـك قـال سنقتّل أبنـاءهم ونستحيي نسـاءهم وإنـا فوقهم قاهرون ﴾ .[1]

فإن قيل : كيف يكون قوم فرعـون مشـركين ؟ وقـد أخبر اللّه عـن فرعون أنّه جحد الخـالق فقـال : ﴿ ومـا رب العـالمين ﴾ ، وقـال : ﴿ مـا علمت لكم من إلـه غيري ﴾ ، وقال : ﴿ أنـا ربُّـكم الأعلى ﴾ ، وقال عن قومه : ﴿ فلما جاءتهم آياتنا بينات قالوا هـذا سـحر مبيـن . وجحـدوا بهـا واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً ﴾[2] ، والإشراك لا يكون إلا من مقر باللّه وإلا فالجاحد له لم يشرك به .

قيل : لم يذكر اللّه جحود الصانع إلا عن فرعون موسى ، وأمّا الذيـن كانوا في زمن يوسف فالقرآن يدل علـى أنّهـم كـانوا مقريـن باللّه ، وهـم مشركون به ، ولهذا كان خطاب يوسف للمَلِك وللعزيـز ولهـم : يتضمـن الإقرار بوجـود الصـانع كقولـه : ﴿ أأربـابٌ متفرّقـون خـير أم اللّه الواحـد القهار ﴾ ؟ ﴿ ارجع إلى ربّـك فاسـأله مـا بـال النّسـوة ... ﴾ إلـى قولـه : ﴿ ... إنَّ ربي بكيدهنَّ عليم ﴾ ، ﴿ واللّه لا يهـدي كيـد الخـائنين ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... إنَّ النفس لأمّـارةٌ بالسـوءِ إلا ما رحم ربـي إنَّ ربي غفورٌ

(١) سورة الأعراف : الآية ١٢٧ .

(٢) سورة النمل : الآية ١٣ - ١٤ .

رحيمٌ ﴾ ، وقد قال مؤمن آل حم : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبلُ بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث اللّه من بعده رسولاً ﴾ ، فهذا يقتضي : أنَّ أولئك الذين بعث إليهم يوسف كانوا يقرون باللّه .

ولهذا كان إخوة يوسف يخاطبونه قبل أن يعرفوا أنَّه يوسف ويظنونه من آل فرعون بخطاب يقتضي الإقرار بالصانع كقولهم : ﴿ تاللّه لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ ، وقال لهم : ﴿ أنتم شرٌّ مكاناً واللّه أعلم بما تصفون ﴾ ، وقال : ﴿ معاذ اللّه أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ ، وقالوا له : ﴿ يا أيُّها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إنَّ اللّه يجزي المتصدقين ﴾، وذلك أنَّ فرعون الذي كان في زمن يوسف أكرم أبويه وأهل بيته لما قدموا إكراماً عظيماً مع علمه بدينهم ، واستقراء أحوال الناس يدلُّ على ذلك .

فإنَّ جحود الصانع لم يكن ديناً غالباً على أمَّة من الأمم قط ، وإنَّما كان الكفار الخارجين عن الرسالة هو الإشراك ، وإنَّما كان يجحد الصانع بعض الناس ، وأولئك كان علماؤهم ، من الفلاسفة الصابئة المشركين ، الذين يعظمون الهياكل ، والكواكب ، والأصنام ، والأخبار المرويّة من نقل أخبارهم وسيرهم كلها تدلّ على ذلك ؛ ولكن فرعون موسى : ﴿ استخفَّ قومه فأطاعوه ﴾ ، وهو الذي قال لهم - دون الفراعنة

المتقدمين - : ﴿ ما علمتُ لكم من إله غيري ﴾ ، ثم قال لهم بعد ذلك ﴿ أنا ربُّكم الأعلى . فأخذه اللَّهُ نكالَ الآخرةِ والأولى ﴾ ، نكال الكلمة الأولى ، ونكال الكلمة الأخيرة ، وكان فرعون في الباطن عارفاً بوجود الصانع ؛ وإنَّما استكبر كإبليس وأنكر وجوده ، ولهذا قال له موسى : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلى رب السموات والأرض بصائر ﴾[1] ، فلما أنكر الصانع ، وكانت له آلهة يعبدها بقيَ على عبادتها ، ولم يصفه اللَّه تعالى بالشرك ، وإنَّما وصفه بجحود الصانع وعبادة آلهة أخرى ، والمنكر للصانع منهم مستكبر كثيراً ما يعبد آلهة ؛ ولا يعبد اللَّه قط ؛ فإنَّه يقول : هذاالعالم واجب الوجود بنفسه ، وبعض أجزائه مؤثّر في بعض ، ويقول : إنَّما انتفع بعبادة الكواكب والأصنام ، ونحو ذلك ، ولهذا كان باطن قول هؤلاء الاتحاديّة ، المنتسبة إلى الإسلام هو قول فرعون .

وكنت أبين أنَّه مذهبهم ، وأبيّن أنَّه حقيقة مذهب فرعون حتى حدثني الثقة : عن بعض طواغيتهم أنَّه قال : نحن على قول فرعون ؛ ولهذا يعظمون فرعون في كتبهم تعظيماً كثيراً ؛ فإنَّهم لم يجعلوا ثمَّ صانعاً للعالم خلق العالم ، ولا أثبتوا ربّاً مدبراً للمخلوقات ، وإنَّما جعلوا نفس الطبيعة هي الصانع ، ولهذا جوّزوا عبادة كل شيء ، وقالوا من عبده فقد عبداللَّه ، ولا يتصوّر عندهم أن يُعبَد غير اللَّه ، فما من شيء يُعبَد إلا وهو

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٠٢ .

اللّه ، وهـذه الكائنـات عندهـم أجـزاؤه ، أو صفاتـه ، كـأجزاء الإنسـان أو صفاته ، **فهؤلاء إذا عبدوا الكائنات فلم يعبدوهـا لتقربهـم إلـى اللّـه زلفـى ؛ لكن لأنّها عندهم هـي اللّـه أو مجلـى مـن مجاليـه ، أو بعـض مـن أبعاضـه ، أو صفة من صفاته ، أو تعين من تعيناته** ، وهؤلاء يعبـدون مـا يعبـده فرعـون وغيره من المشركين ، لكن فرعون لا يقول : هـي اللّه ، وهـؤلاء يقولـون هي اللّه كما تقدم ، وأولئك أكفر من حيث اعترفوا بأنّهم عبـدوا غـير اللّه أو جحدوه ، وهؤلاء أوسع ضلالاً من حيث جوّزوا عبـادة كـل شـيء ، وزعموا أنّه هو اللّـه ، وأنَّ العـابد هـو المعبـود ، وإن كـانوا قصـدوا عبـادة اللّه .

فمعلوم أنَّ المشركين قـد يحبـون آلهتهـم كمـا يحبـون اللّه أو تزيـد محبتهم لهم على محبتهم للّه ، ولهذا : يشتمون اللّـه إذا شـتمت آلهتهـم ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون اللّه فيسبوا اللّـه عـدواً بغير علم ﴾[1] ، فقوم فرعون قد يكونون أعرضوا عن اللّه بالكليـة بعـد أن كانوا مشركين به واستجابوا لفرعون في قوله : ﴿ أنا ربّكم الأعلى ﴾ ، و ﴿ ما علمت لكـم مـن إلـه غيري ﴾ ، ولهـذا لمـا خـاطبهم المؤمـن ذكـر الأمرين فقال : ﴿ تدعونني لأكفر باللّه وأشرك به مـا ليـس لـي بـه علـم ﴾ فذكر الكفر به الذي قد يتناول جحوده ، وذكر الإشراك بـه أيضـاً ؛ فكـان كلامه متناولاً للمقالتين والحالين جميعاً .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٨ .

فقد تبين أنَّ المستكبر يصير مشركاً ، إمَّا بعبادة آلهة أخرى مع استكباره عن عبادة اللَّه ، لكن تسمية هذا شركاً نظير من امتنع مع استكباره عن إخلاص الدين للَّه كما قال تعالى : ﴿ إنَّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا اللَّه يستكبرون . ويقولون أئنَّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ [1]، فهؤلاء مستكبرون مشركون ؛ وإنّما استكبارهم عن إخلاص الدين للَّه ؛ فالمستكبر الذي لا يقرّ باللَّه في الظاهر كفرعون أعظم كفراً منهم، وإبليس الذي يأمر بهذا كله ويحبه ويستكبر عن عبادة ربه وطاعته أعظم كفراً من هؤلاء وإن كان عالماً بوجود اللَّه وعظمته كما أنَّ فرعون كان أيضاً عالماً بوجود اللَّه .

وإذا كانت البدع والمعاصي شعبة من الكفر ؛ وكانت مشتقة من شعبه ، كما أنَّ الطاعات كلها شعبة من شعب الإيمان ومشتقة منه ، **وقد علم أنَّ الذي يعرف الحق ولا يتبعه غاوٍ يشبه اليهود ؛ وأنَّ الذي يعبد اللَّه من غير علم وشرع ؛ هو ضال يشبه النصارى** ، كما كان يقول من يقول من السلف : من فسد من العلماء ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى .

فعلى المسلم أن يحذر من هذين الشبهين الفاسدين ؛ من حال قوم فيهم استكبار وقسوة عن العبادة والتألّه ؛ وقد أوتي نصيباً من الكتاب ،

---

(١) سورة الصافات : الآية ٣٤ - ٣٦ .

وحظّاً من العلم ؛ وقوم فيهم عبادة وتألّه بإشراك باللّه وضَلال عن سبيل اللّه ووحيه وشرعه وقد جعل في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ، وهذا كثير منتشر في الناس ؛ والشبه تقل تارة وتكثر أخرى ؛ فأمّا المستكبرون المتألّهون لغير اللّه الذين لا يعبدون اللّه ، وإنّما يعبدون غيره للانتفاع به ؛ فهؤلاء يشبِهون فرعون » .



القاعدة الخامسة

المحبة لله لا مع الله

إنَّ من علامات صدق المحبّة أن يطيع الحبيب محبوبه ، ومكان المحبّة هو القلب ، الذي إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ومن أحبّ الله لا بدّ أن يحب من أحبّه اللّه ، خصوصاً من الأنبياء والمرسلين ، وهذه قاعدة مهمَّة في توحيد الأديان ؛ لأنَّ المحبّة تقتضي حسن الاتباع ، ولمَّا كان الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه وسلم يمثل اللبنة الأخيرة لإتمام بيت النبوة كان لزاماً على كل مؤمن أن يحبه ويتبع إرشاداته ، ولن يقبل اللّه من العباد غير ذلك ، وحول هذا الموضوع قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه (١١ / ٥٢٢ - ٥٣٠) :

« ومن حين بعث اللّه محمداً صلى اللّه عليه وسلم ما يقبل من أحد بَلَغَتْه الدعوة إلا الدين الذي بعثه به ؛ فإنَّ دعوته عامَّة لجميع الخلائق ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلناكَ إلا كافّةً للناس ﴾ . [١]

وقال صلى اللّه عليه وسلم : « لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا

---

(١) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » . [1]

قال اللّه تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروهُ ونصروه واتبعوا الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيُّها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا باللّه ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن باللّه وكلماته واتبعوه لعلّكم تهتدون ﴾ . [2]

فعلى الخلق كلهم اتباع محمد صلى اللّه عليه وسلم ، فلا يعبدون إلا اللّه ، ويعبدونه بشريعة محمد صلى اللّه عليه وسلم ، لا بغيرها ، قال اللّه تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنّهم لن يغنوا عنك من اللّه شيئاً ، وإنَّ الظالمين بعضهم أولياءُ بعض واللّه ولي المتقين ﴾ [3] ، ويجتمعون على ذلك ولا يتفرّقون ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنّه قال :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ - ١٥٨ .

(٣) سورة الجاثية : الآية ١٨ - ١٩ .

« إنَّ اللّه يرضى لكـم ثلاثـاً : أن تعبـدوه ولا تشـركوا بـه شـيئاً ، وأن تعتصمـوا بحبـل اللّـه جميعـاً ولا تفرقـوا ، وأن تنـاصحوا مـن ولاه اللّـه أمركم » . [1]

وعبادة اللّه تتضمن كمال محبّة اللّه ، وكمال الذل للّه ، فأصل الديـن وقاعدتـه تتضمّن أن يكون اللّـه هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه ولا يكون لها إله سواه ، وإلا له مـا تألهـه القلـوب بالمحبـة والتعظيـم والرجـاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك .

واللّه سبحانه أرسل الرسل بأنّه لا إله إلا هو فتخلوا القلوب عن محبـة ما سواه بمحبته ، وعن رجـاء مـن سـواه برجائـه ، وعـن سـؤال مـن سـواه بسـؤاله ، وعـن العمـل لمـا سـواه بـالعمل لـه ، وعـن الاسـتعانة بمـا سـواه بالاستعانة به ، ولهذا كان وسط الفاتحة : ﴿ إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين ﴾ .

قال النبي صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الصحيح :

« يقول اللّه تعالى : قسمت الصلاة بينـي وبيـن عبـدي نصفيـن ؛ فـإذا قال : ﴿ الحمد للّه رب العالمين ﴾ قال اللّه : حمدني عبدي ، فإذا قـال : ﴿ الـرحمن الرحيم ﴾ قـال : أثنى عليَّ عبـدي ، وإذا قـال : ﴿ مالـك يـوم

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم .

قلت : ونصيحتي التـي أسـديها إلـى ولاة أمـر المسـلمين ؛ أن يخلصـوا المحبـة للّـه ورسوله ، وأن يبرهنوا على صحّة ذلك باتباع شريعة محمد صلى اللّه عليه وسلم لأنّها هي السبيل الوحيد للنجاة من خزي الدنيا وعذاب يوم القيامة .

الدين ﴾ قال : مجّدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين ﴾ قال : هذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، وإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال : هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل » .[1]

فوسط السورة ﴿ إيّاك نعبد وإياك نستعين ﴾ فالدين أن لا يعبد إلا اللّه ولا يستعان إلا إياه ، والملائكة والأنبياء وغيرهم عباد اللّه كما قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكونَ عبداً للّه ولا الملائكة المقربون .

ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فأمَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأمّا الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون اللّه وليّاً ولا نصيراً ﴾[2] ، فالحب لغير اللّه كحب النصارى للمسيح ، وحب اليهود لموسى وحب الرافضة لعليّ ، وحب الغلاة لشيوخهم وأئمّتهم : مثل من يوالي شيخاً أو إماماً وينفر عن نظيره وهما متقاربان أو متساويان في الرتبة ، فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض ، وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة ويعادون بعضهم ، وحال أهل العصبية من المنتسبين إلى فقه وزهد ؛ الذين يوالون بعض

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم والأربعة .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧١ - ١٧٣ .

الشيوخ والأئمة دون البعض ، وإنّما المؤمن من يوالي جميع أهل الإيمان ، قال اللّه تعالى : ﴿ إنّما المؤمنون إخوة ﴾ . (١)

وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً » (٢) ، وشبّك بين أصابعه .

وقال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » . (٣)

وقال عليه السلام : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ؛ وكونوا عباد اللّه إخواناً » (٤) . (٥)

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(٢) رواه الشيخان والترمذي والنسائي .

(٣) رواه الإمام أحمد ومسلم .

(٤) رواه الشيخان ومالك والترمذي .

(٥) قلت : وحال بعض المسلمين اليوم أنهم يوالون أعداء اللّه من اليهود والنصارى والملحدين ويحادون إخوانهم في الدين ، وذلك لروابط سياسية حتى أنَّ بعضهم يستعين بأهل الكفر والإلحاد على قتال المسلمين !

والنبي صلى اللّه عليه وسلم يقول : « لا نستعين بمشرك على مشرك » .

فكيف بمن يستعين بمشرك على مسلم ؟! لا شكَّ أن جرمه عظيم ومآله وخيم حتى لو ادّعى الإسلام .

ونرى بعض المسلمين يفضلون عمالة أهل الكفر على المسلمين والنبي صلى اللّه عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » .

فإذا أردنا محبة اللّه فلا بد أن نحبَّ من أحبَّ اللّه ، وأن نبغض من أبغض اللّه ، =

ومما يبين الحب للّه والحب لغير اللّه : أنَّ أبا بكر كان يحب النبي صلى اللّه عليه وسلم مخلصاً للّه ، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا للّه ، فتقبل اللّه عمل أبي بكر ، وأنزل فيه : ﴿ وسيجنّبها الأتقى . الذي يؤتي ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى ﴾ .[1]

وأمّا أبو طالب فلم يتقبل عمله ؛ بل أدخله النار ؛ لأنّه كان مشركاً عاملاً لغير اللّه ، وأبو بكر لم يطلب أجره من الخلق ، لا من النبي ولا من غيره ؛ بل آمن به ، وأحبه ، وكلأه ، وأعانه بنفسه وماله ، متقرباً بذلك إلى اللّه ، وطالباً الأجر من اللّه ، ورسوله يبلغ عن اللّه أمره ونهيه ووعده ووعيده ، قال تعالى : ﴿ فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ .[2]

واللّه هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويذل ، وهو سبحانه مسبب الأسباب ، ورب كل شيء ومليكه .

والأسباب التي يفعلها العباد مما أمر اللّه به وأباحه فهذا يسلك ، وأمّا ما ينهى عنه نهياً خالصاً ، أو كان من البدع التي لم يأذن اللّه بها فهذا لا يسلك ، قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون اللّه لا يملكون

ونوالي من والى اللّه ورسوله ، ونعادي من حادّ اللّه ورسوله وليكن ميزاننا موافقاً لميزان أهل السماء ، حتى لو خالف أمزجة البشر !

(١) سورة الليل : الآية ١٧ - ٢١ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٤٠ .

مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾[1] ، بين سبحانه ضلال الذين يدعون المخلوق من الملائكة والأنبياء وغيرهم المبين ، أن المخلوقين لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ثم بين أنّه لا شركة لهم ، ثم بين أنّه لا عون له ولا ظهير ؛ لأنّ أهل الشرك يشبِّهون الخالق بالمخلوق ، **كما يقول بعضهم : إذا كانت لك حاجة استوصي الشيخ فلان؛ فإنّك تجده ، أو توجه إلى ضريحه خطوات وناده : يا شيخ! يقضي حاجتك ، وهذا غلط ، لا يحل فعله وإن كان من هؤلاء الداعين لغير اللّه من يرى صورة المدعو أحياناً فذلك شيطان تمثل له ، كما وقع مثل هذا لعدد كثير .**

ونظير هذا قول بعض الجهال من أتباع الشيخ عدي وغيره : كل رزق لا يجيء على يد الشيخ لا أريده ، والعجب من ذي عقل سليم يستوصي من هو ميت ، يستغيث به ، ولا يستغيث بالحي الذي لا يموت، ويقوى الوهم عنده أنّه لولا استغاثته بالشيخ الميت لما قضيت حاجته ، فهذا حرام فعله .

ويقول أحدهم : إذا كانت لك حاجة إلى ملك توسلت إليه بأعوانه ، فهكذا يتوسل إليه بالشيوخ ، وهذا كلام أهل الشرك والضلال ، فإنَّ الملك لا يعلم حوائج رعيّته ، ولا يقدر على قضائها وحده ، ولا يريد ذلك إلا

---

(١) سورة سبأ : الآية ٢٢ - ٢٣ .

لغرض يحصل له بسبب ذلك ، والله أعلم بكل شيء ، يعلم السر وأخفى ، وهو على كلّ شيء قدير ، فالأسباب منه وإليه ، وما من سبب من الأسباب ، إلا دائر موقوف على أسباب أخرى ، وله معارضات ، فالنّار لا تحرق إلا إذا كان المحل قابلاً ، فلا تحرق السمندل ، وإذا شاء اللّه منع أثرها كما فعل بإبراهيم عليه السلام .

وأمّا مشيئة الرب فلا تحتاج إلى غيره ولا مانع لها ، بل ما شاء اللّه كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو سبحانه أرحم من الوالدة بولدها : يحسن إليهم ويرحمهم ، ويكشف ضرهم ، مع غناه عنهم ، وافتقارهم إليه ، ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .[1]

فنفى الرب هذا كله فلم يبق إلا الشفاعة ، فقال : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ ، وقال : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ، فهو الذي يأذن في الشفاعة ، وهو الذي يقبلها ، فالجميع منه وحده ، وكلما كان الرجل أعظم إخلاصاً : كانت شفاعة الرسول أقرب إليه ، قال له أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول اللّه ؟

قال : « من قال لا إله إلا اللّه يبتغي بذلك وجه اللّه » .[2]

وأمّا الذين يتوكلون على فلان ليشفع لهم من دون اللّه تعالى ،

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) رواه البخاري .

ويتعلقون بفلان ، فهؤلاء من جنس المشركين الذين اتخذوا شفعاء من دون اللّه تعالى ، قال اللّه تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دون اللّه شفعاء قل : أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل للّه الشفاعة جميعاً ﴾[1] ، وقال اللّه تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من وليٍّ ولا شفيع ﴾[2] ، وقال : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إنَّ عذاب ربك كان محذوراً ﴾ .[3]

قالت طائفة من السلف : كان قوم يدعون المسيح والعزيز والملائكة فبين اللّه تعالى أنّ هؤلاء الملائكة والأنبياء عباده ، كما أنّ هؤلاء عباده وهؤلاء لا يتقربون إلى اللّه ، وهؤلاء يرجون رحمة اللّه ، وهؤلاء يخافون عذاب اللّه ، فالمشركون اتخذوا مع اللّه أنداداً يحبونهم كحب اللّه ؛ واتخذوا شفعاء يشفعون لهم عند اللّه ، ففيهم محبة لهم وإشراك بهم ، وفيهم من جنس ما في النصارى من حب المسيح وإشراك به ؛ والمؤمنون أشدّ حباً للّه : فلا يعبدون إلا اللّه وحده ، ولا يجعلون معه شيئاً يحبونه كمحبته لا أنبيائه ولا غيرهم ؛ بل أحبوا ما أحبه بمحبتهم للّه ؛ وأخلصوا

---

(١) سورة الزمر : الآية ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة السجدة : الآية ٤ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥٦ - ٥٧ .

دينهم للَّه وعلموا أنَّ أحداً لا يشفع لهم إلا بإذن اللَّه ؛ فأحبّوا عبد اللَّه ورسوله محمداً صلى اللَّه عليه وسلم لحب اللَّه ، وعلموا أنَّه عبد اللَّه المبلغ عن اللَّه ، فأطاعوه فيما أمر وصدقوه فيما أخبر ، ولم يرجو إلا اللَّه ، ولم يخافوا إلا اللَّه ، ولم يسألوا إلا اللَّه ، وشفاعته لمن يشفع له هو بإذن اللَّه ، فلا ينفع رجاؤنا للشفيع ، ولا مخافتنا له ، وإنّما ينفع توحيدنا وإخلاصنا للَّه ، وتوكلنا عليه ، فهو الذي يأذن للشفيع .

فعلى المسلم أن يفرّق بين محبة المؤمنين ودينهم ، ومحبة النصارى والمشركين ودينهم ، ويتبع أهلِ التوحيد والإيمان ، ويخرج عن مشابهة المشركين ، وعبدة الصلبان .

وفي « الصحيحين » عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنَّه قال :

« ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : من كان اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا للَّه ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه ، كما يكره أن يلقى في النار » .

وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من اللَّه ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللَّه بأمره واللَّه لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[1] ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ من يرتد منكم

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٤ .

عن دينه فسوف يأتي اللّه بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل اللّه ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه واسع عليم ﴾[1] ، وهذا باب واسع ، ودين الإسلام مبني على هذا الأصل[2] ، والقرآن يدور عليه » .



---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

(٢) يقصد الإسلام العام الذي يشمل جميع الأديان السماوية .

القاعدة السادسة

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد كان أنبياء اللّه ورسله جميعاً آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، داعين الناس إلى توحيد الأديان تحت شعار العبودية للّه وحده وعدم الإشراك به والإيمان بالرسل جميعهم وما أنزل عليهم من الكتب السماوية ، إلا أنَّ أتباعهم لم يحملوا لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاختص اللّه أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم بهذا الشأن وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وفي أولوياتها الدعوة إلى توحيد الأديان ، وذلك تبعاً للمراحل التي خطها لها خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صلى اللّه عليه وسلم والتي تشمل :

أولاً : الدعوة والبيان والتوضيح .

ثانياً : الجهاد في سبيل اللّه ، ولتكون كلمة اللّه هي العليا .

ولم يكن الجهاد مفروضاً في الأمم السابقة حيث كان الأنبياء والمرسلون يدعون أقوامهم إلى عبادة اللّه وحده ، يمكثون على ذلك سنوات معدودات ، ثم تكون المفاصلة بنجاة المؤمنين ، وعذاب

المكذبين ، وهذا الحال ينطبق على كل فئة مستضعفة أن تهجر دار الكفر إلى دار الإسلام ، حتى لا يخسر أفرادها إيمانهم ويعمهم العقاب بسبب منكرات غيرهم .

وحول هذا الموضوع يقول شيخ الإسلام (٢٨ / ١٢١ - ١٣١) :

« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل اللَّه به كتبه وأرسل به رسله من الدين ؛ فإن رسالة اللَّه : إمّا إخبار ، وإمّا إنشاء .

فالإخبار عن نفسه وعن خلقه : مثل التوحيد والقصص الذي يندرج فيه الوعد والوعيد .

والإنشاء : الأمر والنهي والإباحة .

وهذا كما ذكر في أنَّ : ﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن [١]، لتضمنها ثلث التوحيد ؛ إذ هو قصص ، وتوحيد ، وأمر .

وقوله سبحانه في صفة نبينا صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ [٢] ، هو بيان لكمال رسالته ؛ فإنّه صلى اللَّه عليه وسلم هو الذي أمر اللَّه على لسانه بكل معروف ، ونهى عن كل منكر ، وأحل كل طيب ، وحرم كل خبيث ، ولهذا روي عنه أنّه قال :

---

(١) متفق على صحته .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

« إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . [1]

وقال في الحديث المتفق عليه : « مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة ؛ فكان الناس يطوفون بها ويعجبون من حسنها ، ويقولون : لولا موضع اللبنة ! فأنا تلك اللبنة » .

فبه كمل دين اللّه المتضمن للأمر بكل معروف ، والنهي عن كل منكر ، وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث ، وأما من قبله من الرسل فقد كان يحرم على أممهم بعض الطيبات ، كما قال : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ [2] ، وربما لم يحرم عليهم جميع الخبائث ، كما قال تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ . [3]

وتحريم الخبائث يندرج في معنى (النهي عن المنكر) كما أنَّ أحلال الطيبات يندرج في (الأمر بالمعروف) لأنَّ تحريم الطيبات مما نهى اللّه عنه ، وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم إلا للرسول ، الذي تمم اللّه به مكارم الأخلاق المندرجة في المعروف، وقد قال اللّه تعالى :﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » وابن سعد والحاكم والبيهقي ، وصححه الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (٢٣٤٥) .

(٢) سورة النساء : الآية ١٦٠ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٩٣ .

نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[1] ، فقد أكمل اللّه لنا الدين ، وأتمّ علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام ديناً .

وكذلك وصف الأمة بما وصف به نبيها ؛ حيث قال : ﴿ كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[3] ، ولهذا قال أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس ، تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنّة ، فبين سبحانه أنَّ هذه الأمة خير الأمم للناس ؛ فهم أنفعهم لهم ، وأعظمهم إحساناً إليهم ، لأنّهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن كل منكر لكل أحد ، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل اللّه بأنفسهم وأموالهم ، وهذا كمال النفع للخلق .

وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف ،ولا نهوا كل أحد من كل منكر ، ولا جاهدوا على ذلك ، بل منهم من لم يجاهد ، والذين جاهدوا كبني إسرائيل فعامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم ، كما يقاتل الصائل الظالم ؛ لا لدعوة المجاهدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، كما قال موسى لقومه : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٧١ .

كتب اللّه لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إنَّ فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها؛ فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل اللّه قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل اللّه وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾[2] ، فعللوا القتال بأنّهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم ومع هذا فكانوا ناكلين عما أمروا به من ذلك ، ولهذا لم تحل لهم الغنائم، ولم يكونوا يطؤون بملك اليمين.

ومعلوم أنَّ أعظم الأمم من المؤمنين قبلنا بنوا إسرائيل ، كما جاء في الحديث المتفق على صحته في « الصحيحين » عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: خرج علينا النبي صلى اللّه عليه وسلم يوماً فقال :

« عرضت عليّ الأمم ؛ فجعل يمر النبي ومعه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي معه الرهط ، والنبي ليس معه أحد ، ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق فرجوت أن يكون أمتي ، فقيل : هذا موسى وقومه ، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق ، فقيل لي : هؤلاء أمّتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب » .

---

(١) سورة المائدة : الآيات ٢١ - ٢٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤٦ .

فتفرّق الناس ولم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا باللّه ورسوله ؛ ولكن هؤلاء أبناؤنا ، فبلغ النبي صلى اللّه فقال :

« هم الذين لا يتطيرون ، ولا يكتوون ، ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون » . فقام عكاشة بن محصن فقال : أمنهم أنا يا رسول اللّه ؟ قال : « نعم ! » . فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ فقال : « سبقك بها عكاشة » .

ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة ؛ لأنَّ اللّه تعالى أخبر أنّهم يأمرون بكل معروف ،وينهون عن كل منكر ؛ فلو اتفقوا على إباحة محرم أو إسقاط واجب ، أو تحريم حلال ، أو إخبار عن اللّه تعالى : أو خلقه بباطل ؛ لكانوا متصفين بالأمر بمنكر والنهي عن معروف ، من الكلم الطيب والعمل الصالح ، بل الآية تقتضي أن ما لم تأمر به الأمة فليس من المعروف ، وما لم تنه عنه فليس من المنكر ، وإذا كانت آمرة بكل معروف ناهية عن كل منكر ، فكيف يجوز أن تأمر كلها بمنكر أو تنهى كلها عن معروف ؟ واللّه تعالى كما أخبر بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؛ فقد أوجب ذلك على الكفاية منها بقوله : ﴿ ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .(١)

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

وإذا أخبر بوقوع الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر منها لم يكن من شرط ذلك أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي منها إلى كل مكلف في العالم ، إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة ، فكيف يشترط فيما هو من توابعها ؟ بل الشرط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم ، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه ، كان التفريط منهم لا منه .

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يجب على كل أحد بعينه ، بل هو على الكفاية ، كما دلّ عليه القرآن ، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضاً كذلك ، فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته؛ إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي صلى اللّه عليه وسلم :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان » .[1]

وإذا كان كذلك ، **فمعلوم أنَّ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإتمامه بالجهاد ؛ هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به**[2] ، ولهذا قيل :

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم والأربعة عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه .

(٢) فالجهاد في سبيل اللّه متمم لركن الأمر بالمعروف لقوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذي لا يؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ .

ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر ، وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لا بدّ أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة ، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد ، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح ، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذم المفسدين في غير موضع ، **فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به ، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم ، إذ المؤمن عليه أن يتق الله في عباده ، وليس عليه هداهم** ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾[1] ، والاهتداء إنّما يتم بأداء الواجب ، فإذا قام المسلم بما

= ولعل البعض يقول : لماذا يكره الناس على الإيمان والله يقول : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ ؟

فنقول : إنَّ أي تشريع أو قانون يحتاج إلى قوّة لحمايته ؛ من العابثين والخارجين عليه ، فالدول تعد الجيوش لحماية نظامها من المفسدين في الداخل والخارج ، وكذلك للدفاع عن مصلحة الوطن ! فإذا كان هذا حال البشر ، فمن باب أولى أن تحتاج شريعة الله إلى من يدافع عنها ويحميها من عبث العابثين ، وعناد المعاندين، وجحود الجاحدين، وهذا لا يكون إلا بالجهاد حتى يعبد الله وحده في أرضه ، وبعد هيمنة القانون الإلهي في الأرض ، وشمول توحيد الأديان ؛ عندئذٍ فقط يكون ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ ، بمعنى من أراد دخول دائرة الإسلام الخاص فله ذلك ، ومن أراد البقاء على دينه فله ذلك ؛ بشرط دفع الجزية ، وقبول شروط الذميين .

(١) سورة المائدة : الآية ١٠٥ .

يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال .

وذلك يكون تارة بالقلب ، وتارة باللسان ، وتارة باليد :

فأمّا القلب : فيجب بكل حال ؛ إذ لا ضرر في فعله ، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن ، كما قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « وذلك أدنى - أو - أضعف الإيمان » ، وقال : « ليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل » .

وقيل لابن مسعود : من ميت الأحياء ؟ فقال : الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، وهذا هو المفتون الموصوف في حديث حذيفة بن اليمان .

وهنا يغلط فريقان من الناس :

فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية ؛ كما قال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه في خطبته : إنّكم تقرأون هذه الآية ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم ﴾ وإنّكم تضعونها في غير موضعها ، إني سمعت النبي صلى اللّه عليه وسلم يقول : « إنَّ الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم اللّه بعقاب منه » . [1]

---

(١) رواه أحمد ، وذكره الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (١٩٧٠) وقال : حديث صحيح .

والفريق الثاني : من يريد أن يـأمر وينهـى ؛ إمّـا بلسـانه ، وإمّـا بيـده مطلقاً ؛ من غير فقه وحلم، وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر ، كما في حديث أبـي ثعلبـة الخشـني : سـألت عنها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال :

« بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيـت شـحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمراً لا يدان لك به ، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام ، فإنَّ من ورائك أيام الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهـنَّ كـأجر خمسـين رجلاً يعملون مثل عمله » . (١)

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وذكره الشـيخ الألبـاني فـي « السلسـلة الضعيفة » (١٠٢٥) ، وقال : حديث ضعيف .

ثم علق قائلاً : « فلا تطمئن النفس لتحسن إسناد هذا الحديث ، لا سيما والمعروف في تفسير الآية يخالفه في الظاهر ، وهو ما أخرجه أصحاب السنن وأحمد وابن حبان فـي « صحيحه » (١٨٣٧٧) ، وغيرهم بسند صحيح عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه أنّـه قام فحمد اللَّه ، ثم قال : يا أيها النّاس ! إنّكم تقرأون هـذه الآيـة ﴿ يـا أيهـا الذيـن آمنـوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ، وإنّكم تضعونهـا فـي غـير موضعهـا ، وإني سمعت رسول اللَّـه صلـى اللَّه عليـه وسـلم يقـول : « إنَّ النـاس إذا رأوا المنكـر ولا يغيرونه يوشك أن يعمهم بعقابه » .

وقد خرجته في « الصحيحة » (١٥٦٤) .

ولكن لجملة (أيام الصبر) شواهد خرجتها في « الصحيحة » تحت الحديثين رقم (٤٩٤ ، ٩٥٧) .

فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنّه مطيع في ذلك للّه ورسوله ، وهو معتد في حدوده ، كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء ، كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك ، وكان فساده أعظم من صلاحه ، ولهذا أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم بالصبر على جور الأئمة ، ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة ، وقال :

« أَدوا إليهم حقوقهم ، وسلوا اللّه حقوقكم » .

وقد بسطنا القول في ذلك في غير هذا الموضع .

ولهذا كان من أصول أهل السنّة والجماعة لزوم الجماعة ، وترك قتال الأئمة ، وترك القتال في الفتنة ، وأمّا أهل الأهواء - كالمعتزلة - فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم ، ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة : (التوحيد) الذي هو سلب الصفات ، (العدل) الذي هو التكذيب بالقدر ، و (المنزلة بين المنزلتين) و (إنفاذ الوعيد) ، و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي منه قتال الأئمة .

وقد تكلمت على قتال الأئمة في غير هذا الموضع ، وجماع ذلك داخل في (القاعدة العامّة) فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات أو تزاحمت ؛ فإنّه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ، فإنَّ الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض

له ؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به ، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته ؛ لكن اعتبار مقادير النصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشياء والنظائر ، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام .

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما ، بل إما أن يفعلوهما جميعاً أو يتركوهما جميعاً ، لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر ، بل ينظر ، فإن كان المعروف أكثر أمر به ، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر ، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه ، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل اللّه والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله ، وزوال فعل الحسنات ، وإن كان المنكر أغلب نهي عنه ، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر وسعياً في معصية اللّه ورسوله ، وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما .

فتارة يصلح الأمر ، وتارة يصلح النهي ، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي ، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين ، وذلك في الأمور المعينة الواقعة .

وأمّا من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقاً ، وينهى عن المنكر

مطلقاً ، وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها ، ويحمد محمودها ويذم مذمومها ، بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه ، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه ، أو فوات معروف أرجح منه .

وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق فلا يقدم على لطاعة إلا بعلم ونية ، وإذا تركها كان عاصياً ، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهي عنه من الأمر معصية ، وهذا باب واسع ، ولا حول ولا قوّة إلا باللّه .

ومن هذا الباب إقرار النبي صلى اللّه عليه وسلم لعبداللّه بن أبيّ وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان ، فإزالة المنكر بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم ، وبنفور الناس إذا سمعوا أنَّ محمداً يقتل أصحابه ، ولهذا لما خاطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه ، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه : حمي له سعد بن عبادة مع حسن إيمانه .[1]

---

(١) قلت : وهذا في بادئ الأمر ، حيث كان المسلمون في ضعف وقلّة ، وأمَّا عندما قويت شوكتهم فلم يقبلوا المهانة ، وقال أحد الصحابة لرأس المنافقين رداً على مقالته السيئة : « واللّه لحمار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أفضل منك » .

رواه الشيخان وقد بسطت الكلام على ذلك في كتابي « مستدرك المرابط على رسالة الضوابط » .

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر ، وإرادته لهذا ، وكراهته لهذا ، موافقة لحب اللَّه وبغضه ، وإرادته وكراهته الشرعيين ، وأن يكون فعله للمحبوب ، ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته ، فإنَّ اللَّه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وقد قال : ﴿ فاتقوا اللَّه ما استطعتم ﴾ فأمَّا حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة ، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان » .



القاعدة السابعة

المهادنة

وفي حالة رفض أهل الكتاب والمشركين دخول الإسلام ، وأرادوا الحرب ، ولم يكن عند المسلمين القدرة على مواصلة الجهاد لنشر الإسلام ، جاز لإمام المسلمين اللجوء إلى المهادنة ، وذلك بإبقاء كل أهل دين على دينهم .

ومعناها : أن يعقد الإمام أو نائبه عقداً على ترك القتال مدة بعوض ، وبغير عوض ، ويسمى معاهدة وموادعة، وهي جائزة لقوله تعالى : ﴿ براءة من اللّه ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾، وقوله تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على اللّه ﴾ .

وروى مروان والمسور بن مخرمة أن النبي صلى اللّه عليه وسلم صالح سهيل بن عمرو على وضع القتال عشر سنين ، ولأنه قد يكون بالمسلمين ضعف فيهادنهم حتى يقوى المسلمون ، وإنما تجوز للنظر للمسلمين ، إما لضعفهم عن القتال ، أو للطمع في إسلامهم بهدنتهم ، أو في أدائهم الجزية ، أو غير ذلك من المصالح ، وتجوز على غير مال لأنّ

النبي صلى اللّه عليه وسلم صالح يوم الحديبية على غير مال ، وتجوز على مال يأخذه منهم فإنها إذا جازت على غير مال فعلى مال أولى ، فأما أن صالحهم على ما يبذله لهم فقد أطلق الإمام أحمد القول بالمنع منه ، وهو مذهب الشافعي ؛ لأنّ فيه صغاراً للمسلمين ، وأما في حالة الضرورة مثل أن يخاف على المسلمين من الهلاك والسبي وغير ذلك فيجوز لأنَّ الضرورات تبيح المحظورات .

ولا يجوز عقد الهدنة إلا من الإمام أو نائبه ، وذلك حتى لا يتعطل الجهاد بالكليّة ، ولا يجوز عقدها إلا على مدّة معلومة ، وذلك لأنَّ مهادنة الأعداء مطلقاً يفضي إلى تعطيل الجهاد بالكليّة ، والمدة المعلومة لا تزيد على عشر سنين عند جمهور العلماء .

ولقد استفاد شيخ الإسلام من هذه المهادنة في دعوة ملك النصارى في قبرص إلى الإسلام من خلال رسالة أرسلها إليه .

وهذه الرسالة هي من أحد كبار علماء زمانه إلى أحد كبار ملوك عصره في قبرص ، وهي جليلةٌ في مفهومها ، عظيمة في مضمونها ، غزيرة في معلوماتها ، عزيزة في مدلولاتها ، يبين فيها كاتبها وحدة رايات رسل اللّه، وأنَّها في مجموعها تدعو إلى عبادة اللّه ، وبسبب شموليّتها أحببتُ أن أضعها بين يدي القارئ كاملة من غير نقصان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨ / ٦٠١ - ٦١٤) :



من أحمد بن تيمية إلى سرجوان عظيم أهل ملّته ، ومن تحوط به عنايته من رؤساء الدين ، وعظماء القسيسين ، والرهبان ، والأمراء ، والكتاب ، وأتباعهم ، سلام على من اتبع الهدى .[1]

أما بعد :

فإنا نحمد اليكم اللّه الذي لا اله الا هو ، إله ابراهيم ، وآل عمران ، ونسأله أن يصلي على عباده المصطفين وأنبيائه المرسلين ، ويخص بصلاته وسلامه أولي العزم الذين هم سادة الخلق ، وقادة الأمم ، الذين خصوا بأخذ الميثاق ، وهم : نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، كما سماهم اللّه تعالى في كتابه فقال عز وجل : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اللّه يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم، وأعد للكافرين عذاباً أليماً ﴾ .[3]

---

(١) وهذه صيغة السلام على أهل الكتاب في المراسلات .

(٢) سورة الشورى : الآية ١٣ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٧ - ٨ .

ونسأله أن يخص بشرائف صلاته وسلامه خاتم المرسلين ، وخطيبهم إذا وفدوا على ربهم ، وأمامهم اذا اجتمعوا ، شفيع الخلائق يوم القيامة ، نبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، الجامع محاسن الأنبياء ، الذي بشر به عبد اللّه وروحه وكلمته التي ألقاها الى الصديقة الطاهرة البتول ، التي لم يمسها بشر قط مريم ابنة عمران [1] ذلك مسيح الهدى عيسى بن مريم ، الوجيه في الدنيا والآخرة ، المقرب عند اللّه ، المنعوت بنعوت الجمال والرحمة ؛ لما أنجرَّ بنو اسرائيل فيما بعث به موسى من نعت الجلال والشدة ، وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال؛ المشتمل على الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين ، والمحتوي على محاسن الشرائع والمناهج التي كانت قبله ، صلى اللّه عليهم وسلم أجمعين وعلى من تبعهم الى يوم القيامة .

أما بعد :

فإن اللّه خلق الخلائق بقدرته ، وأظهر فيهم آثار مشيئته وحكمته ورحمته ، وجعل المقصود الذي خانوا له فيما أمرهم به هو عبادته ، وأصل ذلك هو معرفته ومحبته ، فمن هداه اللّه صراطه المستقيم آتاه رحمة ، وعلماً ومعرفةً بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، ورزقه الانابة اليه ، والوجل لذكره ، والخشوع له ، والسألة له : فحن اليه حنين النسور الى

---

(١) وهذه براءة مما يدعيه النصارى .

أوكارها ، وكلف بحبه كلف الصبي بأمه ، لا يعبد إلا إيّاه رغبةً ، ورهبةً ، ومحبةً ، وأخلص دينه لمن الدنيا والآخرة له ، ربّ الأولين والآخرين ، مالك يوم الدين ، خالق ما تبصرون وما لا تبصرون ، عالم الغيب والشهادة ، الذي أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لم يتخذ من دونه أنداداً ، كالذين اتخذوا من دون اللّه أنداداً يحبونهم كحب اللّه ، والذين آمنوا أشد حباً للّه ، ولم يشرك بربه أحداً ، ولم يتخذ من دونه ولياً ، ولا شفيعاً، لا ملكاً ، ولا نبياً ، ولا صديقاً ؛ فإن كل من في السّموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ، فهنالك اجتباه مولاه واصطفاه وآتاه رشده ، وهداه لما اختلف فيه من الحق باذنه ؛ فانه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

وذلك أن النّاس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص ، كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر – عليه السلام – حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان – بدعة من تلقاء أنفسهم – لم ينزل اللّه بها كتاباً ، ولا أرسل بها رسولاً ؛ بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة ، والفلسفة الحائدة، قوم منهم زعموا أن التماثيل طلاسم الكواكب السماوية ، والدرجات الفلكية ، والأرواح العلوية ، وقوم اتخذوها على صورة من كان فيهم من الأنبياء والصالحين ، وقوم جعلوها لأجل الأرواح السفلية من الجن والشياطين ، وقوم على مذاهب أُخر .

وأكثرهم لرؤسائهم مقلدون ، وعن سبيل الهدى ناكبون ، فابتعث اللّه نبيّه نوحاً عليه السلام يدعوهم الى عبادة اللّه وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه ؛ وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم الى اللّه زُلفى ، ويتخذوهم شفعاء ، فمكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً ، فلما أعلمه اللّه أنه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن دعا عليهم ، فأغرق اللّه تعالى أهل الأرض بدعوته ، وجاءت الرسل بعده تترا ، الى أن عمّ دين الصابئة والمشركين ؛ لما كانت النماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقاً وغرباً .

فبعث اللّه تعالى إمام الحنفاء، وأساس الملة الخالصة، والكلمة الباقية: ابراهيم خليل الرحمن ، فدعا الخلق من الشرك الى الاخلاص ، ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام ، وقال : ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السّموات والأرض ، حنيفا ، وما أنا من المشركين ﴾[1] وقال لقومه : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لي إلاّ ربّ العالمين . الذي خلقني فهو يهدين . والذي يميتني ثم يحيين . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾[2] ، وقال ابراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم : ﴿ إنّا برءآؤ منكم ومما تعبدون من دون اللّه كفرنا بكم

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٧٩ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٧٥ - ٨٢ .

وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ، حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ .[1]

فجعل اللّه الأنبياء والمرسلين من أهل بيته ، وجعل لكل منهم خصائص ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وآتى كلاًّ منهم من الآيات ما آمن على مثله البشر ، فجعل لموسى العصا حيةً ، حتى ابتلعت ما صنعت السحرة الفلاسفة من الحبال والعصي ، وكانت شيئاً كثيراً ، وفلق له البحر حتى صار يابسا ، والماء واقفاً حاجزاً بين اثنى عشر طريقاً ، على عدد الأسباط ، وأرسل معه القمل ، والضفادع ، والدم ، وظلل عليه وعلى قومه الغمام الأبيض يسير معهم ، وأنزل عليهم صبيحة كل يوم المن والسلوى ، واذا عطشوا ضرب موسى بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، قد علم كل أناس مشربهم .

وبعث بعده أنبياء من بنى اسرائيل :

منهم من أَحي اللّه على يده الموتى .

ومنهم من شفى اللّه على يده المرضى .

ومنهم من أطلعه على ما شاء من غيبه .

ومنهم من سخّر له المخلوقات .

ومنهم من بعثه بأنواع المعجزات .

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ٤ .

وهذا مما اتَّفَق عليه جميع أهل الملل وفي الكتب التي بأيدى اليهود والنصارى ، والنبوات التي عندهم ، وأخبار الأنبياء عليهم السلام : مثل شعياء ، وأرمياء ، ودانيال ، وحبقوق ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم ، وكتاب « سفر الملوك » وغيره من الكتب ما فيه معتبر .

وكانت بنو اسرائيل أمة قاسية، عاصية تارة يعبدون الأصنام والأوثان، وتارة يعبدون اللّه ، وتارة يقتلون النبيين بغير الحق ، وتارة يستحلون محارم اللّه بأدنى الحيل ، **فلعنوا أولاً على لسان داود ؛ وكان من خراب بيت المقدس ما هو معروف عند أهل الملل كلهم .**

ثم بعث اللّه المسيح بن مريم رسولاً قد خلت من قبله الرسل ، وجعله وأمه آيةً للناس ؛ حيث خلقه من غير أب ؛ إظهاراً لكمال قدرته ، وشمول كلمته ، حيث قسم النوع الانساني الأقسام الأربعة، فجعل آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق المسيح ابن مريم من أنثى بلا ذكر ، وخلق سائرهم من الزوجين الذكر والأنثى ، وآتى عبده المسيح من الآيات البينات ما جرت به سنته : فأحي الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، ودعا إلى اللّه وإلى عبادته ، متبعاً سنة اخوانه المرسلين، مصدقا لمن قبله، ومبشراً بمن يأتي بعده .

وكان بنو اسرائيل قد عتَوا وتمردوا ، وكان غالب أمره اللين والرحمة والعفو والصفح ، وجعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة، وجعل منهم

قسيسين ورهباناً فتفرق الناس في المسيح عليه السلام ومن اتبعه من الحواريين ثلاثة أحزاب :

قوم كذبوه وكفروا به ، وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء ، وأن اللّه لم ينسخ ما شرعه ، بعد ما فعلوه بالأنبياء ، وما كان عليهم من الآصار في النّجاسات والمطاعم .[١]

وقوم غلوا فيه ، وزعموا أنه اللّه ، أو ابن اللّه ، وأن اللاهوت تدرع الناسوت ، وأن رب العالمين نزل ، وأنزل ابنه ليصلب ويقتل ؛ فداء لخطيئة آدم عليه السلام ، وجعلوا الاله الأحد ، الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد قد ولد واتخذ ولداً ؛ وأنه إله حي ، عليم قدير ، جوهر واحد ، ثلاثة أقانيم ، وأن الواحد منها أقنوم الكلمة ، وهي العلم ، هي تدرعت الناسوت البشري ، مع العلم بأن أحدهما لا يمكن انفصاله عن الآخرين ؛ إلاّ إذا جعلوه ثلاثة إلهات متباينة ، وذلك ما لا يقولونه .

وتفرقوا في التثليث والاتحاد تفرقاً ، وتشتتوا تشتتاً ، لا يقّر به عاقل ، ولم يجيء نقل الا كلمات متشابهات في الانجيل وما قبله من الكتب ، قد بينتها كلمات محكمات في الانجيل وما قبله، كلها تنطق بعبودية المسيح، وعبادته للّه وحده ، ودعائه ، وتضرعه .

---

(١) وهؤلاء هم اليهود حيث حاولوا قتل المسيح عليه السلام ؛ فأنجاه اللّه من مكرهم ، ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم ﴾ .

ولما كان أصل الدين هـو الايمـان باللّه ورسـوله ، كمـا قـال خـاتم النبيين والمرسلين :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ اللّـه ، وأنّ محمـداً رسول اللّه » . [1]

وقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فانما أنـا عبد ، فقولوا عبد اللّه ورسوله » . [2]

كان أمر الدين بوحيـد اللـه والاقـرار برسـله ؛ ولهـذا كـان الصـابئون والمشركون كالبراهمة ونحوهم مـن منكـري النبـوات مشـركين باللّـه فـي اقرارهم وعبادتهم ، وفاسدي الاعتقاد في رسله .

فأرباب التثليث في الوحدانية والاتحاد في الرسالة قد دخل في أصـل دينهم من الفساد ما هو بين بفطرة اللّه التي فطر الناس عليها ، وبكتـب اللّـه التي أنزلها .

ولهذا كان عامة رؤسائهم – من القسيسـين ، والرهبـان ، ومـا يدخـل فيهم من البطارقة ، والمطارنة ، والاساقفة – إذا صـار الرجـل منهـم فـاضلاً مميزاً فانه ينحل عن دينه ، ويصير منافقاً لملوك أهل دينـه ، وعـامتهم رضـي بالريـاسة عليهـم ، وبما يناله مـن الحظوظ ؛ كالـذي كـان لبيت المقـدس ؛

---

(١) رواه الشيخان ، وأصحاب السنن .

(٢) رواه البخاري .

الذي يقال له : (ابن البوري) ، والـذي كـان بدمشـق ؛ الـذي يقـال لـه : (ابن القف) ، والذي بقسطنطينـة وهو (البابا) عندهم ، وخلق كثير من كبار الباباوات ، والمطارنة ، والأساقفة ، لمـا خـاطبهم قـوم مـن الفضـلاء أقروا لهم بأنهم ليسوا على عقيدة النصارى ؛ وإنما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرياسة ، كبقاء الملوك والأغنياء على ملكهم وغناهم ، ولهذا تجد غالب فضلائهم انما همة أحدهم نوع من العلم الريـاضي كـالمنطق ، والهيئة ، والحساب ، والنجوم ؛ أو الطبيعي ، كالطب ، ومعرفة الأركان ، أو التكلم في الالهي على طريقة الصابئة الفلاسفة الذين بعث اليهـم ابراهيـم الخليل عليه السلام : قد نبذوا دين المسيح والرسل الذين قبلـه وبعـده وراء ظهورهم ، وحفظوا رسوم الدين ، لأجل الملوك والعامة .[1]

وأما **الرهبان** فأحدثوا من أنواع المكر والحيل بالعامة مـا يظهـر لكـل عاقل ؛ حتى صنف الفضلاء في حيل الرهبان كتبا : مثل النـار التـي كـانت تصنع بقمامة ، يدهنون خيطاً دقيقا بسندروس ، ويلقون النار عليه بسرعة ، فتنزل ، فيعتقد الجهال انهـا نزلـت مـن السـماء ، ويأخذونهـا الـى البحـر ، وهي صنعة ذلك الراهب ، يراه الناس عياناً ، وقد اعـترف هـو وغـيره أنهـم يصنعونها .

---

(١) وهذا حال المسلمين اليوم قد تركوا أصل الدين والعقيـدة ؛ وتمسـكوا برسـوم الدين ، بل ببدع لم تكن في زمن الخـيرة مـن الأوليـن كالاحتفـال بـالمولد النبـوي أسـوة بالنصارى ، وبالإسراء والمعراج ، ورأس السنة الهجرية ، وغيرها من المحدثات .

وقد اتفق أهل الحق من جميع الطوائف على أنه لا تجـوز عبـادة اللّـه تعالى بشيء ليس لـه حقيقة ، وقـد يظن المنافقون أن مـا ينقل عـن المسيح وغيره من المعجزات من جنس النار المصنوعة ، وكذلك حيلهم في تعليـق الصليب ، وفي بكاء التمـاثيل التـي يصورونهـا علـى صـورة المسـيح وأمـه وغيرهما ، ونحو ذلك : كل ذلك يعلم كل عـاقل أنـه إفـك مفـترى ، وأن جميع أنبياء اللّه وصالحي عباده برآء من كل زور وباطل وإفك ، كبراءتهم من سحر سحرة فرعون .

ثم إن هؤلاء عمدوا الى الشريعة التي يعبدون اللّه بها فناقضوا الأوليـن من اليهود فيها ؛ مع أنهم يأمرون بالتمسك بالتوراة ؛ إلاّ ما نسخه المسيح، **قصر هؤلاء في الأنبياء حتى قتلوهـم ، وغـلا هـؤلاء فيهـم حتـى عبدوهـم ، وعبدوا تماثيلهم** ، وقال أولئـك : أن اللّـه لا يصلـح لـه أن يغـير مـا أمـر بـه فينسخه ؛ لا في وقت آخر ، ولا على لسان نبيي آخر ، وقال هـؤلاء : بـل الأحبار والقسيسون يغيرون ما شاءوا ، ويحرمون ما رأوا ، ومن أذنب ذنبـاً وضعوا عليه ما رأوا من العبادات ، وغفروا له ، ومنهم مـن يزعـم أنـه ينفـخ في المرأة من روح القدس ، فيجعل البخـور قربانـاً ، وقـال أولئـك : حـرم علينا أشياء كثيرة وقال هؤلاء : ما بين البقة والفيل حلال : كُل ما شـئت ، ودع ما شئت ، وقـال أولئـك : النجاسـات مغلظـة ؛ حتـى ان الحـائض لا يقعد معها ولا يؤكل معها ، وهؤلاء يقولون : ما عليك شـيء نجـس ، ولا يأمرون بختان، ولا غسل من جنابـة ، ولا إزالـة نجاسـة ؛ مـع أن المسـيح

والحواريين كانوا على شريعة التوراة .

ثم إن الصلاة الى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون ؛ وإنما ابتدعه قسطنطين أو غيره .

وكذلك الصليب إنما ابتدعه قسطنطين برأيه ، وبمنام زعم أنه رآه ، وأما المسيح والحواريون فلم يأمروا بشيء من ذلك .

والدين الذي يتقرب العباد به الى اللّه لا بد أن يكون اللّه أمر به وشرعه على ألسنة رسله وأنبيائه ؛ وإلا فالبدع كلها ضلالة ، وما عبدت الأوثان إلاّ بالبدع .

وكذلك ادخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ، ولا الحواريون .

وبالجملة فعامة أنواع العبادات والأعياد التي هم عليها لم ينزل بها اللّه كتاباً ، ولا بعث بها رسولاً ، لكن فيهم رأفة ورحمة ، وهذا من دين اللّه ؛ بخلاف الأولين ؛ فان فيهم قسوةً ومقتاً ، وهذا مما حرمه اللّه تعالى، لكن الأولون لهم تمييز وعقل مع العناد والكبر ، والآخرون فيهم ضلال عن الحق وجهل بطريق اللّه ، ثم إن هاتين الأمتين تفرقتا أحزابا كثيرة في أصل دينهم ، واعتقادهم في معبودهم ورسولهم ، هذا يقول : إن جوهر اللاهوت والناسوت صارا جوهراً واحداً ، وطبيعةً واحدةً ، وأقنوماً واحدا ، وهم اليعقوبية ، وهذا يقول : بل هما جوهران ، وطبيعتان ، وأقنومان ، وهم النسطورية ، وهذا يقول بالاتحاد من وجه دون وجه وهم الملكانية .

وقد آمن جماعات من علماء أهل الكتاب قديما وحديثا ، وهاجروا الى اللّه ورسوله ، وصنفوا في كتب اللّه من دلالات نبوة النبي خاتم المرسلين ، وما في التوراة والزبور والانجيل من مواضع لم يدبروها ، وكذلك الحواريون، فلما اختلف الأحزاب من بينهم هدى اللّه الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، فبعث النبي الذي بشر به المسيح ومن قبله من الأنبياء ، داعيا الى ملة ابراهيم ، ودين المرسلين قبله وبعده ، وهو عبادة اللّه وحده لا شريك له ، واخلاص الدين كلّه لله ، وطهر الأرض من عبادة الأوثان ، ونزه الدين عن الشرك : دقه ، وجله ؛ بعد ما كانت الأصنام تعبد في أرض الشام وغيرها في دولة بنى اسرائيل ، ودولة الذين قالوا : أنا نصارى ، وأمر بالايمان بجميع كتب اللّه المنزلة ، كالتّوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان ، وبجيمع أنبياء اللّه من آدم الى محمد .

قال اللّه تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنّا باللّه وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيهم اللّه وهو السميع العليم صبغة اللّه ومن أحسن من اللّه صبغة ونحن له عابدون ﴾[1] .

(١) سورة البقرة : الآيات ١٣٥ - ١٣٨ .

وأمر اللّه ذلك الرسول بدعوة الخلق الى توحيده بالعدل، فقال تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلاّ اللّه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلاّ وحيا ، أو من وراء حجاب ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه اللّه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون اللّه ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ .[3]

وأمره أن تكون صلاته وحجه الى بيت اللّه الحرام ، الذي بناه خليله ابراهيم أبو الأنبياء وامام الحنفاء ، وجعل أمته وسطا فلم يغلوا في الأنبياء كغلو من عدلهم باللّه ، وجعل فيهم شيئاً من الالهية ، وعبدهم ، وجعلهم شفعاء ، ولم يجفوا جفاء من آذاهم ، واستخف بحرماتهم ، وأعرض عن طاعتهم ؛ بل عزروا الأنبياء – أي عظموهم ونصروهم – وآمنوا بما جاءوا به ، وأطاعوهم ، واتبعوهم ، وائتموا بهم ، وأحبوهم ، وأجلّوهم ، ولم يعبدوا إلا اللّه ، فلم يتّكِلوا إلاّ عليه ، ولم يستعينوا إلاّ به مخلصين له الدين

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٥١ .

(٣) سورة آل عمران : الآيتان ٧٩ – ٨٠

حنفاء .

وكذلك في الشرائع ، قالوا ما أمرنا اللّه به أطعناه ، وما نهانا عنه انتهينا ، وإذا نهانا عمّا كان أحله - كما نهى بني اسرائيل عما كان أباحه ليعقوب - أو أباح لنا ما كان حراما - كما أباح المسيح بعض الذي حرم اللّه على بني اسرائيل - سمعنا وأطعنا .

وأما غير رسل اللّه وأنبيائه فليس لهم أن يبدلوا دين اللّه ، ولا يبتدعوا في الدين ما لم يأذن به اللّه ، والرسل انما قالوا تبليغاً عن اللّه ؛ فانه سبحانه له الخلق والأمر ، **فكما لا يخلق غيره ، لا يأمر غيره ﴿ إن الحكم إلاّ لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** . [١]

وتوسطت هذه الأمة في الطهارة والنجاسة ، وفي الحلال والحرام ، وفي الأخلاق ، ولم يجردوا الشدة كما فعله الأولون ، ولم يجردوا الرأفة كما فعله الآخرون ، بل عاملوا أعداء اللّه بالشدة ، وعاملوا أولياء اللّه بالرأفة والرحمة، وقالوا في المسيح ما قاله سبحانه وتعالى ، وما قاله المسيح والحواريون ؛ لا ما ابتدعه الغالون والجافون .

وقد أخبر الحواريون عن خاتم المرسلين أنه يبعث من أرض اليمن وأنه يبعث بقضيب الأدب ، وهو السيف ، وأخبر المسيح أنه يجيء بالبينات والتأويل ، وأن المسيح جاء بالأمثال ، وهذا باب يطول شرحه .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٤٠ .

وانما نبه الداعي لعظيم ملته وأهله ، لما بلغني ما عنده من الديانة والفضل ، ومحبة العلم وطلب المذاكرة ، ورأيت الشيخ أبا العباس المقدسي شاكرا من الملك : من رفقه ، ولطفه ، وإقباله عليه ، وشاكراً من القسيسين ونحوهم [1] .

* * *

[* عزّة المُسلم وكرامته في حمل لواء الدعوة .] [2]

ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ، ونحب أن يجمع اللّه لكم خير الدنيا والآخرة ؛ **فان أعظم ما عبد اللّه به نصيحة خلقه ، وبذلك بعث اللّه الأنبياء والمرسلين ، ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه** ؛ فانه لابد للعبد من لقاء اللّه ، ولابد أنّ اللّه يحاسب عبده ، كما قال تعالى : ﴿ فلنسألن الذين أرسل اليهم ، ولنسألن المرسلين ﴾ [3] .

وأما الدنيا فأمرها حقير ، وكبيرها صغير ، وغاية أمرها يعود الى الرياسة والمال ، وغاية ذي الرياسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه اللّه في اليم انتقاما منه ، وغاية ذي المال أن يكون كقارون الذي خسف اللّه به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، لما آذى نبي اللّه موسى .

---

(١) وإن من الحكمة أن يذكر الداعي الصفات الحسنة عند المدعو حتى ولو كان كافراً ، فإنَّ ذلك من باب تأليف القلوب .

(٢) ما بين المعكوفتين إضافة من المعدّ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٦ .

وهذه وصايا المسيح ومن قبله ومن بعده من المرسلين ، كلها تأمر بعبادة اللّه ، والتجرد للدار الآخرة ، والاعراض عن زهرة الحياة الدنيا .

ولما كان أمر الدنيا خسيسا رأيت أنّ أعظم ما يهدي لعظيم قومه المفاتحة في العلم والدين : بالمذاكرة فيما يقرب إلى اللّه ، والكلام في الفروع مبنى على الأصول ، وانتم تعلمون أن دين اللّه لا يكون بهوى النفس ، ولا بعادات الآباء وأهل المدينة ، وإنما ينظر العاقل فيما جاءات به الرسل ، وفي ما اتفق النّاس عليه ، وما اختلفوا فيه ، ويعامل اللّه تعالى - بينه وبين اللّه تعالى - بالاعتقاد الصحيح ، والعمل الصالح ، وان كان لا يمكن الإنسان أن يظهر كل ما في نفسه لكل أحد ؛ فينتفع هو بذلك القدر .

وإن رأيت من الملك رغبة في العلم والخير كاتبته ، وجاوبته عن مسائل يسألها ، وقد كان خطر لي أن أجيء الى قبرص لمصالح في الدين والدنيا ؛ لكن إذا رأيت من الملك ما فيه رضى اللّه ورسوله عاملته بما يقتضيه عمله ؛ فإن الملك وقومه يعلمون أن اللّه قد أظهر من معجزات رسله عامة ، ومحمد خاصة : ما أيّد به دينه ، وأذلّ الكفار والمنافقين .

ولما قدم مقدم المغول غازان واتباعه الى دمشق ، وكان قد انتسب الى الاسلام ؛ لكن لم يرض اللّه ورسوله والمؤمنون بما فعلوه ؛ حيث لم يلتزموا دين الله ، وقد اجتمعت به وبأمرائه ، وجرى لي معهم فصول يطول شرحها ؛ لا بد أن تكون قد بلغت الملك ؛ فأذله اللّه وجنوده لنا ،

حتى بقينا نضربهم بأيدينا ، ونصرخ فيهم بأصواتنا، وكان معهم صاحب سيس مثل أصغر غلام يكون ، حتى كان بعض المؤذنين الذين معنا يصرخ عليه ، ويشتمه ، وهو لا يجترئ أن يجاوبه ، حتى أن وزراء غازان ذكروا ما ينم عليه من فساد النية له ، وكنت حاضرا لمّا جاءات رسلكم الى ناحية الساحل ، وأخبرني التتار بالأمر الذي أراد صاحب سيس أن يدخل بينكم وبينه فيه ، حيث مناكم بالغرور وكان التتار من أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس ، وإهانة له ؛ ومع هذا فانا كنا نعامل أهل ملتكم بالاحسان اليهم ، والذب عنهم .

وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في اطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان ، وقطلوشاه ، وخاطبت مولاي فيهم فسمح باطلاق المسلمين ، قال لي : لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس ، فهؤلاء لا يطلقون ، فقلت له : بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ؛ فانا نفتكهم ، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة ، وأطلقنا من النصارى من شاء اللّه، فهذا عملنا واحساننا ، والجزاء على اللّه .

وكذلك السبي الذي بأيدينا من النصارى يعلم كل أحد احساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم ؛ كما أوصانا خاتم المرسلين حيث قال في آخر حياته :

« الصّلاة ، وما ملكت ايمانكم » . قال اللّه تعالى في كتابه :

﴿ ويطعمــون الطعــام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾[1] .

ومع خضــوع التتــار لهـذه الملـة ، وانتسـابهم الـى هـذه الملـة ؛ فلـم نخادعهم ، ولم ننافقهم ؛ بل بينا لهم ما هم عليه من الفساد والخروج عـن الاسـلام الموجـب لجهـادهم [2] ، وأن جنـود اللّـه المؤيـدة ، وعســاكره المنصورة المستقرة بالديار الشامية والمصرية : ما زالت منصورة على مـن ناوءها ، مظفرة على من عاداها ، وفي هذه المدة لما شــاع عنـد العامـة أن التتار مسلمون ، أمسك العسكر عن قتالهم ، فقتل منهم بضعة عشـر ألفـا ، ولـم يقتل من المسلمين مائتنا ، فلما انصرف العسكر الى مصـر ، وبلغـة مـا عليه هذه الطائفة الملعونة من الفساد ، وعـدم الديـن : خرجـت جنـود اللّـه وللأرض منها وئيد ، قد ملأت السهل والجبل ؛ في كثرة ، وقوة ، وعدة ، وايمان ، وصدق ، قد بهرت العقول والألباب ، محفوفة بملائكة اللّه التــي ما زال يمد بها الأمة الحنيفية ، المخلصة لبارئها : فانهزم العدو بين أيديها، ولـم يقف لمقابلتها ، ثم أقبل العدو ثانيا ، فأرسل عليه من العذاب ما أهلك

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٨ .

(٢) فالتتار كانوا يدعون الإسلام ولكنهم يعطون الولاء لجنكيس خـان ويتحـاكمون إلى شبريعته ، ويفضلون اليهود والنصارى والملحدين والباطنية المنحرفين علـى المسـلمين ويدعون أن الأديان كلها طرق توصل إلى اللّه ، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً، وقد ظهرت أفكارهم ثانيةً في هذه الأيام ، يحملها ويتشدق بها مثقفون من أبناء جلدتنا ، يتسلمون وللأسف مناصب رفيعة في مجتمعاتنا الإسلامية ، ويحسبون أنّهم مهتدون .

النفوس والخيل ، وانصرف خاسئا وهو حسير ، وصدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهو الآن في البلاء الشديد والتعكيس العظيم ، والبلاء الذي أحاط به، والاسلام في عز متزايد وخير مترافد ؛ فان النبي صلى اللّه عليه وسلّم قد قال :

« إنّ اللّه يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . [١]

وهذا الدين في اقبال وتجديد ، وأنا ناصح للملك وأصحابه - واللّه الذي لا إله إلاّ هو الذي أنزل التوراة والانجيل والفرقان .

ويعلم الملك ان وفد نجران - وكانوا نصارى كلهم ، فيهم الأسقف وغيره - لمّا قدموا على النبي صلى اللّه عليه وسلّم ، ودعاهم الى اللّه ورسوله ، والى الاسلام : خاطبوه في أمر المسيح ، وناظروه ، فلما قامت عليهم الحجة جعلوا يراوغون ، فأمر اللّه نبيه أن يدعوهم إلى المباهلة ، كما قال : (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل : تعالوا ! ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّه على الكاذبين) ، فلما ذكر النبي صلى اللّه عليه وسلّم ذلك استشوَروا بينهم ، فقالوا : تعلمون أنّه نبي ، وأنّه ما باهل أحد نبياً ،

---

(١) رواه أبو داوود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (١٨٧٠) ، نسأل اللّه تعالى أن يبعث لهذه الأمّة من يجدد لها دينها ويخلّصها من أرجاس التتار .

فأفلح ، فأدوا اليه الجزية ، ودخلوا في الذمة ، واستعفوا من المباهلة .

وكذلك بعث النبي صلى اللّه عليه وسلّم كتابه إلى قيصر الـذي كـان ملك النصـارى بالشام والبحر إلى قسطنطينية وغيرها ، وكان ملكـاً فاضـلاً فلما قرأ كتابه ، وسأل عن علامته : عرف أنه النبي الذي بشر به المسيح ، وهو الذي كان وعد اللّه به ابراهيم فـي ابنـه اسـماعيل وجعـل يدعـو قومـه النصارى الى متابعته ، وأكرم كتابه ، وقبّلـه ، ووضعـه علـى عينيـه ، وقـال وددت أني أخلص إليه حتى أغسل عن قدميه ولولا مـا أنـا فيـه مـن الملـك لذهبت اليه .

وأما النجاشي ملك الحبشة النصراني ؛ فإنه لما بلغه خبر النبـي صلـى اللّه عليه وسلّم من أصحابه الذين هاجروا اليه ؛ آمن به وصدقه ، وبعث إليه ابنه وأصحابه مهاجرين ، وصلى النبي صلى اللّه عليه وسلّم عليه لمّا مات ، ولما سمع سـورة ﴿ كهيعـص ﴾ بكـى ، ولمـا أخـبروه عمـا يقولـون فـي المسيح قال : واللّه ما يزيد عيسى على هذا مثل هذا العود ، وقال : ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وكانت سيرة النبي صلى اللّه عليه وسلّم أن مـن آمـن باللّـه وملائكتـه وكتبه ورسله من النصارى صار من أمتـه ، لـه مـا لهـم وعليـه مـا عليهـم ، وكان له أجران : أجر على إيمانه بالمسيح .

[* قتال الذين لا يتبعون الرسل :]

وأجر على أيمانه بمحمد ، ومن لم يؤمن به من الأمم فان اللّه أمر بقتاله ، كما قال في كتابه : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم اللّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ . [١]

فمن كان لا يؤمن باللّه ، بل يسب اللّه ويقول : أنه ثالث ثلاثة ، وأنه صلب ، ولا يؤمن برسله ؛ بل يزعم أن الذي حمل وولد، وكان يأكل ويشرب ، ويتغوط ، وينام : هو اللّه ، وابن اللّه ، وأن اللّه أو ابنه حل فيه ، وتدرعه ، ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين ، ويحرّف نصوص التوراة والانجيل ؛ فان في الأناجيل الأربعة من التناقض والاختلاف بين ما أمر اللّه به وأوجبه ما فيها ، ولا يدين الحق ، ودين الحق هو الاقرار بما أمر اللّه به وأوجبه ، من عبادته وطاعته ، ولا يحرم ما حرّم اللّه ورسوله ؛ من الدم والميتة ولحم الخنزير ، الذي ما زال حراما من لدن آدم الى محمد صلى اللّه عليه وسلم ، ما أباحه نبى قط ؛ بل علماء النصارى يعلمون أنه محرم، وما يمنع بعضهم من إظهار ذلك إلاّ الرغبة والرهبة ، وبعضهم يمنعه العناد والعادة ونحو ذلك ، ولا يؤمنون باليوم الآخر لأن عامتهم وان كانوا يقرون بقيامة الأبدان ؛ لكنهم لا يقرون بما أخبر اللّه به من الأكل والشرب واللباس والنكاح والنعيم والعذاب في الجنة والنار ؛ بل غاية ما يقرون به

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

مـن النعيم السماع والشم ، ومنهم متفلسفة ينكرون معاد الأجساد ، وأكثر علمائهم زنادقة ، وهــم يضمـرون ذلـك ، ويسـخرون بعوامهــم ، لا سيما بالنسـاء والمترهبيـن منهم : بضعف العقول ، **فمن هـذا حالـه فقد أمر اللّـه ورسوله بجهاده حتى يدخل فـي ديـن اللّـه ، أو يـؤدي الجزيـة ، وهـذا ديـن محمد صلى اللّه عليه وسلّم .**

ثم المسيح صلوات اللّه عليه لم يأمر بجهـاد ؛ لا سيما بجهـاد الأمـة الحنيفية ، ولا الحواريون بعده .

[* تحريم الغدر في جميع الأديان :]

فيا أيها الملك ! كيف تستحل سفك الدماء ، وسبى الحريم ، وأخـذ الأموال بغير حجة من اللّه ورسله ، ثـم أمـا يعلـم الملـك ؛ أن بديارنـا مـن النصارى أهل الذمة والأمان مالا يحصى عددهـم الا اللّـه ، ومعاملتنـا فيهـم معروفة فكيف يعاملون أسرى المسـلمين بهـذه المعـاملات التـي لا يرضـى بهـا ذو مـروءة ، ولا ذو ديـن ؟! لسـت أقـول عـن الملـك وأهـل بيتـه ولا إخوته ؛ فان أبا العباس شاكر للملك ولأهل بيته كثـيراً ، معترفـا بمـا فعلـوه معه من الخير ، وانما أقـول عـن عمـوم الرعية ، أليـس الأسـرى فـي رعيـة الملك ؟ أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والاحسان ، فأين ذلك ؟!

ثم إن كثيراً منهم انما أخذوا غدراً ، والغدر حـرام فـي جميـع الملـل

والشرائع والسياسات ، فكيف تستحلون أن تستولوا على من أخذ غدراً ؟!
أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا ، وتكونون مغدورين ؟!
واللّه ناصرهم ومعينهم ؛ لا سيما في هذه الأوقات ، **والأمة قد امتدت للجهاد ، واستعدت للجلاد ، ورغب الصالحون وأولياء الرحمن في طاعته،**
وقد تولى الثغور الساحلية أمراء ذوو بأس شديد ، وقد ظهر بعض أثرهم ، وهم في ازدياد .

ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية ، الذين يغتالون الملوك في فرشها ، وعلى أفراسها : من قد بلغ الملك خبرهم ؛ قديما ، وحديثاً ،
وفيهم الصالحون الذين لا يرد اللّه دعواتهم ، ولا يخيب طلباتهم ، الذين يغضب الرب لغضبهم ويرضى لرضاهم ، وهؤلاء التتار مع كثرتهم وانتسابهم الى المسلمين لما غضب المسلمون عليهم أحاط بهم من البلاء ما يعظم عن الوصف ، فكيف يحسن أيها الملك بقوم يجاورون المسلمين من أكثر الجهات أن يعاملوهم هذه المعاملة التي لا يرضاها عاقل ؛ لا مسلم ، ولا معاهد ؟!

هذا وأنت تعلم أن المسلمين لا ذنب لهم أصلاً ؛ بل هم المحمودون على ما فعلوه ؛ فان الذي أطبقت العقلاء على الاقرار بفضله هو دينهم ، حتى الفلاسفة أجمعوا على أنه لم يطرق العالم دين أفضل من هذا الدين ، فقد قامت البراهين على وجوب متابعته .

ثم هذه البلاد ما زالت بأيديهم الساحل ؛ بل وقبرص أيضا ما أخذت

منهم الا من أقل من ثلاثمائة سنة ، وقد وعدهم النبي صلى اللّه عليه وسلّم أنهم لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة [1] ، **فما يؤمن الملك أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته ينتقم لهم رب العباد والبلاد ، كما ينتقم لغيرهم ؟! وما يؤمنه أن تأخذ المسلمين حمية الإسلام فينالوا منها ما نالوا من غيرها ؟! ونحن اذا رأينا من الملك وأصحابه ما يصلح عاملناهم بالحسنى ، وإلا فمن بغي عليه لينصرنه اللّه .** [2]

وأنت تعلم أن ذلك من أيسر الأمور على المسلمين ، وأنا ما غرضي الساعة الا مخاطبتكم بالتي هي أحسن ، والمعاونة على النظر في العمل ، واتباع الحق ، وفعل ما يجب ، فان كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديان ، ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النصارى المقلدين ، الذين لا يسمعون ولا يعقلون ؛ إن هم إلاّ

---

(١) « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم : تعال صلِّ لنا ، فيقول : لا؛ إنّ بعضكم على بعض أميرٌ، تكرمة اللّه لهذه الامة » . رواه أحمد ومسلم

وفي رواية لمسلم : « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر اللّه ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » .

(٢) وهنا يظهر كلام العزة والأنوفة عند المسلم الداعي إلى اللّه ؛ فإن الدعوة بحاجة إلى لين وشدة حسب المقام ، أي : أنَّ الإسلام لا يريد حربا على الأمم في آن واحد ، ولكن إن بغي على أهله أعلنت الحرب على البغاة والمغتصبين لحقوق المسلمين في أراضيهم .

كالأنعام ؛ بل هم أضل سبيلا .

وأصل ذلك أن تستعين بالله ، وتسأله الهداية ، وتقول : اللهم! أرني الحق حقاً ، وأعني على اتباعه ، وأرني الناطل باطلا ، وأعني على اجتنابه ، ولا تجعله مشتبها علي فاتبع الهوى فأضل ، وقل اللّهم! رب جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون : اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم .

والكتاب لا يحتم البسط أكثر من هذا ؛ لكن أنا ما أريد للملك إلا ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، وهما شيئان :

أحدهما : له خاصة ، وهو معرفته بالعلم والدين ، وانكشاف الحق ، وزوال الشبهة ، وعبادة اللّه ، كما أمر ، **فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها** . (١)

---

(١) وهكذا ينبغي أن يكون العلماء ، يبينون للحاكم أمور الدين ويوضحون له الشبهات التي زينتها له البطانة السيئة ، فإن الهداية إلى سبيل الحق خير من الدنيا وما عليها ، وهنا أذكر قصة ربعي بن عامر رضي اللّه عنه عندما دخل على كسرى الفرس راكباً على دابته ، وسيفه ملفوف بخرقة ، ثم نزل عن الدابة وربطها في إحدى الوسائد الكسروية ثم قال مخاطباً عظيم الفرس : « اللّه ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللّه وحده ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » .

وهو الذي بعث به المسيح ، وعلمه الحواريين .

الثاني : له وللمسلمين ، وهو مساعدته للأسرى الذين في بلاده ، واحسانه اليهم ، وأمر رعيته بالاحسان اليهم ، والمعاونة لنا على خلاصهم؛ فان في الا ساءة اليهم دركا على الملك في دينه ودين اللّٰه تعالى ، ودركا من جهة المسلمين ، وفي المعاونة على خلاصهم حسنة له في دينه ، ودين اللّٰه تعالى وعند المسلمين ؛ وكان المسيح أعظم الناس توصية بذلك .

[* الرحمة العامّة من تعاليم المسيح عليه السلام :]

ومن العجب كل العجب أن يأسر النصارى قوماً غدراً أو غير غدر ولم يقاتلوهم ، والمسيح يقول : « من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، ومن أخذ رداءك فأعطه قميصك » ؟! وكلما كثرت الأسرى عندكم كان أعظم لغضب اللّٰه وغضب عباده المسلمين ؛ فكيف يمكن السكوت على أسرى المسلمين في قبرص ، سيما وعامة هؤلاء الأسرى قوم فقراء ، وضعفاء ، ليس لهم من يسعى فيهم [1] وهذا أبو

= نعم أيها الأخوة ينبغي على الداعي إلى اللّٰه أن لا يتأثر قلبه بزخارف دنيا الملوك ، والحكام لأن ما عند اللّٰه هو خير وأبقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون .

(١) لقد تدخل شيخ الإسلام في أمر فكاك أسرى المسلمين الذين هم عند الكفار ، وكان حري بعلماء المسلمين اليوم أن يتدخلوا في أمر فكاك المضطهدين من عباداللّٰه في سجون بلاد الإسلام ! وكنت أرجو أن يشفعوا لهؤلاء عند حكام المسلمين عسى اللّٰه =

العباس مع أنه من عباد المسلمين ، وله عبادة وفقر ، وفيه مشيخة ، ومع هذا فما كاد يحصل له فداؤه الا بالشدة ، ودين الاسلام يأمرنا أن نعين الفقير ، والضعيف ، فالملك أحق أن يساعد على ذلك من وجوه كثيرة لا سيما والمسيح يوصي بذلك في الانجيل، ويأمر بالرحمة العامة ، والخير الشامل، كالشمس والمطر .

والملك وأصحابه اذا عاونونا على تخليص الأسرى والاحسان اليهم كان الحظ الأوفر لهم في ذلك في الدنيا والآخرة ، أما في الآخرة فإن اللّه يثيب على ذلك ويأجر عليه ، وهذا مما لاريب فيه عند العلماء المسيحيين الذين لا يبتغون الهوى ؛ بل كل من اتقى اللّه وأنصف علم أنهم أسروا بغير حق ، لا سيما من أخذ غدراً ، واللّه تعالى لم يأمر المسيح ولا أحدا من الحواريين ، ولا من اتبع المسيح على دينه ؛ لا بأسر أهل ملة ابراهيم ، ولا بقتلهم ، وكيف وعامة النصارى يقرون بأن محمداً رسول الأميين ؟! فيكيف يجوز أن يقاتل أهل دين اتبعوا رسولهم .

فان قال قائل : هم قاتلونا أول مرة ، قيل : هذا باطل فيمن غدرتم به ومن بدأتموه بالقتال ، وأما من بدأكم منهم فهو معذور ، لأن اللّه تعالى أمره بذلك ، ورسوله ؛ بل المسيح والحواريون أخذ عليهم المواثيق بذلك ، **ولا يستوي من عمل بطاعة اللّه ورسله ودعا الى عبادته ودينه، وأقرَّ**

= أن يرقق قلوبهم ويستجيبوا لمنادي الهدى ، لم لا وهذا الأمر واجب على ولاة أمر المسلمين من العلماء والدعاة المجتهدين .

بجميع الكتب والرسل ، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، وليكون الدين كله للّه ، ومن قاتل في هوى نفسه وطاعة شيطانه على خلاف أمر اللّه ورسله .

وما زال في النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له ميزة على غيره في المعرفة والدين ؛ فيعرف بعض الحق، وينقاد لكثير منه، ويعرف من قدر الاسلام وأهله ما يجهله غيره ، فيعاملهم معاملة تكون نافعة له في الدنيا والآخرة ، ثم في فكاك الأسير وثواب العتق من كلام الأنبياء والصديقين ما هو معروف لمن طلبه ، فمهما عمل الملك معهم وجد ثمرته .

وأما في الدنيا فإن المسلمين أقدر على المكافأة في الخير والشر من كل أحد ، ومن حاربوه الويل كل الويل له ، والملك لا بد أن يكون سمع السير ، **وبلغه أنه ما زال في المسلمين النفر القليل منهم من يغلب أضعافا مضاعفة من النصارى وغيرهم ، فكيف اذا كانو أضعافهم ؟!** وقد بلغه الملاحم المشهورة في قديم الدهر وحديثه : مثل أربعين ألفا يغلبون من النصارى أكثر من أربعمائة ألف ، أكثرهم فارس ، وما زال المرابطون بالثغور مع قلتهم واشتغال ملوك الاسلام عنهم يدخلون بلاد النصارى ، فكيف وقد منّ اللّه تعالى على المسلمين باجتماع كلمتهم ، وكثرة جيوشهم ، وبأس مقدميهم ، وعلو هممهم ، ورغبتهم فيما يقرب الى اللّه تعالى ، واعتقادهم أن الجهاد أفضل الأعمال المطوعة ، وتصديقهم بما

وعدهم نبيهم حيث قال :

« يُعطى الشهيد ست خصال : يغفر له بأول قطـرة مـن دمـه ، ويـرى مقعده فـي الجنـة ، ويكسـى حلـة الايمـان ، ويـزوج بـاثنتين وسـبعين مـن الحـور العيـن ، ويوقـى فتنـة القـبر ، ويؤمـن مـن الفـزع الأكـبر يـوم القيامة » . [1]

ثم إن في بلادهم من النصارى أضعاف ما عندكم من المسلمين؛ فان فيهم من رؤوس النصارى من ليس في البحر مثلهـم الا قليـل ، وأمـا أسـراء المسلمين فليس فيهم من يحتـاج اليـه المسـلمون ، ولا مـن ينتفعـون بـه، وأنما نسعى في تخليصهم لأجل اللّه تعـالى رحمـة لهـم ، وتقربـاً اليـه يـوم يَجزي اللّه المصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين .

[* المسلمون هم نواب المسيح وسائر الأنبياء عليهم السلام :]

وأبو العباس حامل هذا الكتاب قد بث محاسن الملك واخوته عندنـا واستعطف قلوبنا اليه ؛ فلذلك كاتبت الملك لما بلغتنى رغبته فـي الخـير ، وميله الى العلم والدين ، **وأنا من نواب المسيح وسائر الأنبياء** فـي مناصحـة المـلك وأصحابـه ، وطلـب الخيـر لهـم ؛ فان أمة محمد خير أمة أخرجت

---

(١) أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح غريب .
وقال الأرناؤوط في « جامع الأصول » : إسناده حسن ، وهو كما قال .

للناس ، يريدون للخلق خير الدنيا والآخرة، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويدعونهم الى اللّه ، ويعينونهم على مصالح دينهم ودنياهم ، وان كان الملك قد بلغه بعض الأخبار التي فيها طعن على بعضهم أو طعن على دينهم ؛ فأما أن يكون المخبر كاذباً ، أو ما فهم التأويل ، وكيف صورة الحال ، وان كان صادقاً عن بعضهم بنوع من المعاصي والفواحش والظلم : فهذا لا بد منه في كل أمة ؛ بل الذي يوجد في المسلمين من الشر أقل مما في غيرهم بكثير ، والذي فيهم من الخير لا يوجد مثله في غيرهم .

والملك وكل عاقل يعرف أن أكثر النصارى خارجون عن وصايا المسيح والحواريين ، ورسائل بولص وغيره من القديسين ؛ وان كان أكثر ما معهم من النصرانية شرب الخمر ، وأكل الخنزير ، وتعظيم الصليب ، ونواميس مبتدعة ما أنزل اللّه بها من سلطان ، وأن بعضهم يستحل بعض ما حرّمته الشريعة النصرانية ، هذا فيما يقرون به ، وأما مخالفتهم لما لا يقرون به فكلهم داخل في ذلك ، بل قد ثبت عندنا عن الصادق المصدوق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم أن المسيح عيسى بن مريم ينزل عندنا بالمنارة البيضاء في دمشق ، واضعاً كفيه على منكبي ملكين ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية، ولا يقبل من أحد إلا الاسلام، ويقتل مسيح الضلالة الأعور الدجّال الذي يتبعه اليهود ، ويسلط المسلمون على اليهود ، حتى يقول الشجر والحجر : يامسلم ! هذا يهودي ورائي

فاقتله [1] ، وينتقم اللّه للمسيح بن مريم مسيح الهدى من اليهود ما آذوه وكذبوه لما بعث اليهم .

وأمّا ما عندنا في أمر النصارى ، وما يفعل اللّه بهم من ادالة المسلمين عليهم ، وتسليطه عليهم : فهذا مما لا أخبر به الملك ؛ لئلا يضيق صدره ؛ ولكن الذي أنصحه به ؛ أن كل من أسلف إلى المسلمين خيراً ومال إليهم ؛ كانت عاقبته معهم حسنة ؛ بحسب ما فعله من الخير ؛ فان اللّه يقول : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ . [2]

والذي أختم به الكتاب الوصية بالشيخ أبي العباس ، وبغيره من الأسرى ، والمساعدة لهم ، والرفق بمن عندهم من أهل القرآن ، والامتناع من تغير دين واحد منهم ، وسوف يرى الملك عاقبة ذلك كله ، ونحن نجزي الملك على ذلك بأضعاف ما في نفسه ، واللّه يعلم أني قاصد للملك الخير ؛ لآن اللّه تعالى أمرنا بذلك ؛ وشرع لنا أن نريد الخير لكل أحد ، ونعطف على خلق اللّه ، وندعوهم الى اللّه والى دينه ، وندفع عنهم شياطين الانس والجن .

واللّه المسئول أن يعين الملك على مصلحته التي هي عند اللّه المصلحة

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الزلزلة : الآية ٧ - ٨ .

العامة ، وأن يخير له من الأقوال ما هو خير له عند اللّٰه ، ويختم له بخاتمه خير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على أنبيائه المرسلين، ولا سيما محمد خاتم النبيين والمرسلين ، والسلام عليهم أجمعين .



القاعدة الثامنة

عقد الذمّـة

الدين الإسلامي لا يجبر أحداً من أهـل الكتـاب علـى الدخـول فيـه ، ولكن لو حصل قتال وانتصر فيه المسلمون على غيرهم من أهل الكتـاب ، فإنّهم يخيرون بين قبول الإسـلام أو دفـع الجزيـة مقـابل عيشـهم فـي بـلاد المسلمين ، ويسمى العقد المُبرم بين إمام المسلمين وأهل الكتـاب (**عقـد الذمّة**) ، ولا يجوز عقد الذمَّة إلا من الإمام أو نائبه ، وهـذا قـول جمهـور أهل العلم ؛ لأنَّ ذلك يتعلّق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة ، ولأنَّه عقـد مؤبد فلا يجوز أن يفتات على الإمام .

والأصـل فـي جـواز عقـد الذمَّـة وأخـذ الجزيـة ، الكتـاب والسـنّة والإجماع :

أمَّا الكتاب : فقول اللّه تعالى : ﴿ قـاتلوا الذيـن لا يؤمنـون باللّـهِ ولا باليومِ الآخرِ ولا يحرِّمون ما حرَّم اللّهُ ورسولُه ولا يدينـون ديـن الحـق مـن الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ .

وأمَّا السنّة : فما روى المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه أنَّه قـال لجنـد

كسرى يوم نهاوند : « آمرنا نبيّنا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا اللّه وحده ، أو تؤدوا الجزية » . رواه البخاري .

وعن بريدة رضي اللّه عنه قال : « كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه بتقوى اللّه في خاصّة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً ، وقال له : إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث : ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم ، فإن أبوا فاستعن باللّه وقاتلهم » . رواه مسلم .

وأجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية في الجملة .

ويجوز عقد الذمة لجميع أهل الكتاب ؛ وهم اليهود والنصارى ومن يوافقهم في التدين بالتوراة والإنجيل كالسامرة والفرنج ومن له شبهة كتاب وهم المجوس ، فقد روى الإمام البخاري بإسناده عن بجالة أنّه قال : ولم يكن عمر رضي اللّه عنه أخذ الجزية من المجوس حتى قال له عبدالرحمن ابن عوف : أنَّ النبي صلى اللّه عليه وسلم أخذها من مجوس هَجر ، ولو كانوا أهل كتاب لما وقف عمر في أخذ الجزية منهم مع أمر اللّه تعالى بأخذ الجزية من أهل الكتاب ، وما ذكروه هو الذي صار لهم به شبهة كتاب ، فأمّا غير اليهود والنصارى والمجوس من الكفار فلا تقبل منهم الجزية ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل .

ولا يجوز عقد الذمة إلا بشرطين : بذل الجزية ، والتزام أحكام الإسلام من حقوق الآدميين في العقود ، والمعاملات ، والجنايات ، وإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه في دينهم ؛ كالزنا والسرقة والقتل والقذف ، سواء كان الحد واجباً في دينهم أو لا ؛ لما روى أنس : « أن يهودياً قتل جارية على أوضاح لها ؛ فقتله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم » . متفق عليه .

وروى ابن عمر رضي اللّه عنهما أنَّ النبي صلى اللّه عليه وسلم أُتي بيهوديين قد فجرا بعد إحصانهما فرجمهما ، ولأنّه محرم في دينه وقد التزم حكم الإسلام .

وأمّا ما يعتقدون حله كشرب الخمور وأكل لحم الخنزير فلا حدَّ عليهم فيه **إلا أنّهم يمنعون من إظهاره بين المسلمين لأنّهم يتأذُّون بذلك** ، وعلى الإمام إذا عقد الذمّة أن يشرط على أهلها شروطاً نحو ما شرطه الفاروق عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه **كما ذكر ذلك شيخ الإسلام حيث يقول (٢٨ / ٦٥١ - ٦٥٦)** :

« وفي شروط عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام ، وشارطهم بمحضر من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، وعليه العمل عند أئمة المسلمين لقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم :

« عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها ،

وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » . (١)

وقوله صلى اللّه عليه وسلم : « اقتدوا بالذين من بعدي ؛ أبي بكر وعمر » . (٢)

لأن هذا صار إجماعاً من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، الذين لا يجتمعون على ضلالة على ما نقلوه وفهموه من كتاب اللّه وسنة نبيه صلى اللّه عليه وسلم .

وهذه الشروط مروية من وجوه مختصرة ومبسوطة ، منها ما رواه سفيان الثوري ، عن مسروق بن عبد الرحمن بن عتبة ، قال : كتب عمر رضي اللّه عنه حين صالح نصارى الشام كتابا ، وشرط عليهم فيه : **أن لا يحدثوا في مدنهم ولا ما حولها ديراً ، ولا صومعة ، ولا كنيسة ، ولا قلاية لراهب ، ولا يجددوا ما خرب ، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يؤوا جاسوساً ، ولا يكتموا غش المسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الاسلام إن أرادوه وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم : من قلنسوة ، ولا عمامة ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا يتكنوا**

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، وإسناده صحيح .

(٢) متفق عليه .

بكناهم ، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفا ، ولا يتخذوا شيئاً من سلاحهم [1] ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ولا يبيعوا الخمور ، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم ، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا ، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ، ولا يظهروا صليباً ، ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طريق المسلمين [2] ، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ، ولا يضربوا

---

(١) واليوم نرى أنَّ النصارى يتدربون على السلاح دون المسلمين ويخزنون الأسلحة في كنائسهم ، ولقد شاهدت راهباً اقتاده بعض الجنود في شوارع مدينة إربد في الأردن في أيام فتنة (١٩٧٠م) ولمّا سألنا عنه قالوا : إنّه كان يقنص المواطنين من على برج الكنيسة ! يمعنى أنّهم كلما هدأت الفتنة أشعلوها من كنائسهم .

(٢) إنَّ الإسلام حفظ حقوق أهل الكتاب الذين يعيشون في بلاد المسلمين ، وقديما عالج القرآن الكريم الناحية العقائدية ، عند أهل الكتاب ، وأقام عليهم الحجة من كلام أنبيائهم ، ومع ذلك لم يجبرهم على الدخول في الإسلام ، ولكن اشترط عليهم أن لا يمنعوا أحداً منهم يريد الإسلام ، ولا يظهروا شعائر الشرك والكفر في طريق المسلمين، واليوم نرى الصلبان قد عُلّقت بأحجام كبيرة على جدران الكنائس وأبوابها ، ووضعت مكبرات الصوت أمام دقات نواقيسهم ، ومقابل مساجد المسلمين ، بل لقد خصص لهم وقت لنقل صلواتهم وشعائرهم الشركية من خلال إذاعات المسلمين ! ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد ، بل طالبوا بعدم إعلان أذان الفجر في مكبرات الصوت ، زعماً أنّه يزعجهم ! وطالبوا أيضاً بعدم استعمال مكبر الصوت في خطب الجمعة ، وللأسف الشديد وجدوا من المسلمين من يؤيد باطلهم ، وبالفعل منعت المساجد في بعض بلدان المسلمين من استعمال مكبرات الصوت في خطب الجمعة !

ولما كنت خطيباً في مسجد بني هاشم جاء مندوب الأوقاف الإسلامية وأطلعني على قرار سريٍّ ؛ يتضمَّن أن لا نتعرض لليهود والنصارى باللعن والتشهير في خطب =

بالناقوس إلا ضرباً خفياً ، ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم في شيء في حضرة المسلمين ، فان خالفوا شيئاً مما اشترط عليهم فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق .

وأما ما يرويه بعض العامة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال :

« من آذى ذمياً فقد آذاني » . (١)

فهذا كذب على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؛ لم يروه أحد من أهل العلم ، وكيف ذلك وأذاهم قد يكون بحق ، وقد يكون بغير حق ؟! بل قد قال اللّه تعالى : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ (٢) فكيف يحرم أذى الكفار مطلقاً ؟ وأي ذنب أعظم من الكفر ؟

ولكن في سنن أبي داود عن العرباض بن سارية - رضي اللّه عنه - عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال :

« إن اللّه لم يأذن لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا

= الجمعة ، فقلت له : يا هذا اتق اللّه فيما تقول ، واعلم أنّه لم يبق أمامكم إلا أن تزيلوا آيات لعن اليهود والنصارى من كتاب اللّه عز وجلّ !

فإذا كان هذا حال أمتنا اليوم فلا عجب مما نزل بنا من ذل وصغار وضعف وفرقة !

(١) انظر « ضعيف الجامع » (٥٣٢٠) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٨ .

ضرب أبشارهم ، ولا أكل ثمارهم ، إذا أعطوكم الذي عليهم » . [1]

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : **أذلوهم ولا تظلموهم**،

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم عن آبائهم عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال :

« إلا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » . [2]

وفي « سنن أبي داود »، عن قابوس بن أبي ضبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :

« ليس على مسلم جزية، ولا تصلح قبلتان بأرض » . [3]

وهذه الشروط قد ذكرها أئمة العلماء من أهل المذاهب المتبوعة

---

(١) حديث (٣٠٥٠) وفي سنده أشعث المصيصي لم يوثقه غير ابن حبان .
وقد حذفه الشيخ الألباني من « صحيح أبي داود » للدلالة على ضعفه .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) وذكره الشيخ الألباني في « صحيح أبي داود » ، وقال : حديث صحيح .

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذي ، وذكره الشيخ الألباني في « ضعيف الجامع » (٦٢٥٢) وقال : ضعيف ، ثم قال : قد صحَّ معناه في احاديث منها (٢٣٠ ، ٢٣١) .
قلت : يعني حديث مسلم : « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب » .
وحديث : « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب ، واعلموا أنَّ شرَّ الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . رواه أحمد .

وغيرها في كتبهم ، واعتمدوها ؛ فقد ذكروا أن على الامام أن يلزم أهل الذمة بالتمييز عن المسلمين في لباسهم ، وشعورهم ، وكناهم ، وركوبهم : بأن يلبسوا أثوابا تخالف ثياب المسلمين : العسلي ، والأزرق، والأصفر ، والأدكن ، ويشدوا الخرق في قلانسهم وعمائمهم ، والزنانير فوق ثيابهم .

وقد أطلق طائفة من العلماء أنهم يؤخذون باللبس وشد الزنانير جميعاً، ومنهم من قال : هذا يجب إذا شرط عليهم ، وقد تقدم اشتراط عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ذلك عليهم جميعا حيث قال : ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا غيرها : من عمامة ، ولا نعلين ، إلى أن قال : ويلزمهم بذلك حيث ما كانوا ، ويشدوا الزنانير على أوساطهم .

وهذه الشروط ما زال يجددها عليهم من وفقه اللّه تعالى من ولاة أمور المسلمين ، كما جدد عمر بن عبد العزيز - رحمه اللّه - في خلافته، وبالغ في اتباع سنة عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - حيث كان من العلم والعدل والقيام بالكتاب والسنة بمنزلة ميزه اللّه تعالى بها على غيره من الأئمة ، وجددها هارون الرشيد ، وجعفر المتوكل ، وغيرهما ، وأمروا بهدم الكنائس التي ينبغي هدمها ، كالكنائس التي بالديار المصرية كلها .

القاعدة التاسعة

لا تصلح قبلتان بأرض الاسلام

في حالة عقد الذمة مع أهل الكتاب يتعهد المسلمون حمايتهم الشخصية وحماية بيوتهم ودور عبادتهم بحيث لا يظهرون شعائر الكفر بأرض الإسلام ، كما اشترط عليهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، هذا في أرض الصلح ، أمَّا في أرض العنوة أي التي دخلها المسلمون بعد قتال فإنّه يجوز للإمام أن يهدم دور العبادة ولا يعتبر ذلك ظلماً كما بيَّنه شيخ الإسلام في جوابه على السائل حيث يقول (٢٨ / ٦٣٤ - ٦٤٦) :

« الحمد للّه رب العالمين ، أمّا دعواهم أن المسلمين ظلموهم في إغلاقها فهذا كذب مخالف لاجماع المسلمين ؛ **فان علماء المسلمين من أهل المذاهب الأربعة : مذهب أبي حنفية ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وغيرهم من الأئمة ، كسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وغيرهم ، ومن قبلهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين : متفقون على أن الامام لو هدم كل كنيسة بأرض العنوة ؛ كأرض مصر ،**

والواد بالعراق ، وبر الشام ، ونحو ذلك ، مجتهداً في ذلك ، ومتبعاً في ذلك لمن يرى ذلك ، لم يكن ذلك ظلماً منه ؛ بل تجب طاعته في ذلك ، ومساعدته في ذلك ممن يرى ذلك ، وان امتنعوا عن حكم المسلمين لهم كانوا ناقضين العهد ، وحلت بذلك دماؤهم وأموالهم .

وأما قولهم : ان هذه الكنائس قائمة من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، وأن الخلفاء الراشدين أقروهم عليها ، فهذا أيضا من الكذب ؛ فان من العلم المتواتر أن القاهرة بنيت بعد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : بأكثر من ثلاثمائة سنة ، بنيت بعد بغداد ، وبعد البصرة ؛ والكوفة ، وواسط .

وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيها كنيسة ؛ مثل ما فتحه المسلمون صلحاً وأبقوا لهم كنائسهم القديمة بعد أن شرط عليهم فيها عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أن لا يحدثوا كنيسة في أرض الصلح ؛ فكيف في مدائن المسلمين ؟! بل إذا كان لهم كنيسة بأرض العنوة كالعراق ومصر ونحو ذلك فبنى المسلمون مدينة عليها ، فإن لهم أخذ تلك الكنيسة ؛ لئلا تترك في مدائن لمسلمين كنيسة بغير عهد .

فان في « سنن أبي داود » باسناد جيد ، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلّم أنه قال :

« لا تصلح قبلتان بأرض ، ولا جزية على مسلم » . [1]

والمدينة التي يسكنها المسلمون وفيها مساجد المسلمين لا يجوز أن يظهر فيها شيء من شعائر الكفر ؛ لا كنائس؛ ولا غيرها إلاّ أن يكون لهم عهد فيوفى لهم بعهدهم ، فلو كان بأرض القاهرة ونحوها كنيسة قبل بنائها لكان للمسلمين أخذها ؛ لأن الأرض عنوة، فكيف وهذه الكنائس محدثة أحدثها النصارى ؟!

فان القاهرة بقي ولاة أمورها نحو مائتي سنة على غير شريعة الإسلام [2] ؛ وكانوا يظهرون أنّهم رافضة ، وهم في الباطن إسماعيليّة ونصيرية وقرامطة وباطنيّة كما قال فيهم الغزالي - رحمه اللّه تعالى في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم : **ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض** ، واتفق طوائف المسلمين : علماؤهم وملوكهم وعامتهم من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم : على أنهم كانوا خارجين عن شريعة الاسلام ، وأن قتالهم كان جائزاً ، بل نصوا على أن نسبهم كان باطلاً ، وأن جدهم كان عبيد اللّه بن ميمون القداح ، لم يكن من آل بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم [3] ، وصنف العلماء في ذلك مصنّفات ،

---

(١) ذكره الشيخ الألباني في « ضعيف الجامع » (٦٢٥٢) .
وقال : قد صحَّ معناه في أحاديث منها (٢٣٠ و ٢٣١) في « صحيح الجامع » .
قلت : يعني الحديث الآتي عند مسلم .

(٢) أي في زمن حكم العبيديين .

(٣) بعد القضاء على العبيديين في مصر ، فرت طائفة منهم إلى المغرب، وعاشوا =

وشهد بذلك مثل الشيخ ابي الحسن القدوري إمام الحنفية ، والشيخ أبي حامد الأسفرائيني إمام الشافعية ، ومثل القاضي أبي يعلى إمام الحنبلية ، ومثل أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية ، وصنف القاضي أبو بكر ابن الطيب فيهم كتاباً في كشف أسرارهم ، وسمّاه : « كشف الأسرار وهتك الأستار » في مذهب القرامطة الباطنية .

والذين يوجدون في بلاد الاسلام من الاسماعيلية ، والنصيرية [1] ، والدرزية وأمثالهم من أتباعهم ، وهم الذين أعانوا التتر على قتال المسلمين، وكان وزير «هولاكو» النصير الطوسي من أئمتهم .

وهؤلاء أعظم الناس عداوة للمسلمين وملوكهم ، ثم الرافضة بعدهم فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة ، ويوالون التتار، ويوالون النصارى ، وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة ، حتى صارت الرافضة تحمل الى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم ، وغلمان السلطان ، وغيرهم من الجند والصبيان ، وإذا انتصر المسلمون على التتار أقامو المآتم والحزن ، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور ، وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة ، وقتل أهل بغداد ،

= هناك وادعوا أنّهم من آل بيت النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو منهم براء ، وقد تسلموا زمام الأمور هناك ، أمّا القرامطة فبقاياهم في البحرين ، وقد سرقوا الحجر الأسود ، ومكث عندهم اثنين وعشرين عاماً .

(١) وهم العلويون الذين يحكمون سوريا اليوم .

ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين وكاتب التتار ، حتى أدخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة ، ونهى النّاس عن قتالهم .

وقد عرف العارفون بالاسلام : **بأن الرافضة تميل مع أعداء الدين** ، ولما كانوا ملوك القاهرة كان وزيرهم مرةً يهودياً ، ومرة نصرانياً أرمينيا ، وقويت النصارى بسبب ذلك النصراني الأرميني ، وبنوا كنائس كثيرة بأرض مصر في دولة أولئك الرافضة المنافقين وكانو ينادون بين القصرين : من لعن وسب فله دينار واردب [١] ، وفي أيامهم أخذت النصارى ساحل الشام من المسلمين ، حتى فتحه نور الدين ، وصلاح الدين ، وفي أيامهم جاءت الفرنج الى بلبيس ، وغلبوا من الفرنج ؛ فإنهم منافقون ، وأعانهم النصارى ، واللّه لا ينصر المنافقين الذين هم يوالون النصارى ، فبعثوا الى نور الدين يطلبون النجدة ، فأمدهم بأسد الدين ، وابن أخيه صلاح الدين ، فلما جاءت الغزاة المجاهدون الى ديار مصر قامت الرافضة مع النصارى ، فطلبوا قتال الغزاة المجاهدين المسلمين ، وجرت فصول يعرفها الناس حتى قتل صلاح الدين مقدمهم شاور .

ومن حينئذ ظهرت بهذه البلاد كلمة الاسلام والسنة والجماعة، وصار يقرأ فيها أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؛ كالبخاري ومسلم ونحو ذلك ، ويذكر فيها مذاهب الأئمة ، ويترضى فيها عن

---

(١) يعني من يلعن أبا بكر وعمر وعائشة فله دينار واردب .

الكواكب ويرصدونها ، وفيهم قوم زنادقة دهرية لا يؤمنون بالأخرة ولا جنة ولا نار ، ولا يعتقدون وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وخير من كان فيهم الرافضة ، والرافضة شر الطوائف المنتسبين الى القبلة .

فبهذا السبب وأمثاله كان احداث الكنائس في القاهرة وغيرها ، وقد كان في بر مصر كنائس قديمة؛ لكن تلك الكنائس أقرهم المسلمون عليها حين فتحوا البلاد ؛ لأن الفلاحين كانوا كلهم نصارى ، ولم يكونوا مسلمين ؛ وانما كان المسلمون الجند خاصة ، وأقروهم : كما أقر النبي صلى اللّه عليه وسلم اليهود على خيبر لما فتحها ؛ لأن اليهود كانوا فلاحين ، وكان المسلمون مشتغلين بالجهاد ، ثم أنه بعد ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود أجلاهم أمير المؤمنين عن خيبر ، كما أمر بذلك النبي صلى اللّه عليه وسلم حيث قال :

« **أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب** » . [1]

حتى لم يبق في خيبر يهودي ، وهكذا القرية التي يكون أهلها نصارى وليس عندهم مسلمون ولا مسجد للمسلمين، فإذا أقرهم المسلمون على كنائسهم التي فيها جاز ذلك ، كما فعله المسلمون : وأما اذا سكنها المسلمون وبنوا بها مساجدهم فقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم :

---

(١) رواه مسلم .

« لا تصلح قبلتان بأرض » . [1]

وفي أثر آخر : « لا يجتمع بيت رحمة ، وبيت عذاب » .

والمسلمون قد كثروا بالديار المصرية ، وعمرت في هذه الأوقات حتى صار أهلها بقدر ما كانوا في زمن صلاح الدين مرات متعددة ، وصلاح الدين وأهل بيته ما كانوا يوالون النصارى ، ولم يكونوا يستعملون منهم أحداً في شيء من أمور المسلمين أصلاً ؛ ولهذا كانوا مؤيدين منصورين على الأعداء ، مع قلة المال والعدد ؛ وإنما قويت شوكة النصارى والتتار بعد موت العادل آخي صلاح الدين ، حتى أن بعض الملوك أعطاهم بعض مدائن المسلمين ، وحدث حوادث بسبب التفريط فيما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فان الله تعالى يقول : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إنّ الله لقوي عزيز ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الذين ان مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ﴾ . [2]

فكان ولاة الأمور الذين يهدمون كنائسهم ويقيمون أمر الله فيهم ، كعمر بن عبد العزيز ، وهارون الرشيد ، ونحوهما : مؤيدين، منصورين ، وكان الذين هم بخلاف ذلك مغلوبين مقهورين . [3]

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة الحج : الآية ٤١ .

(٣) ومن هنا نرى مدى العداوة والحقد ؛ في صدور النصارى ؛ على أحفاد =

وإنما كثرت الفتن بين المسلمين وتفرقوا على ملوكهم من حين دخل النصارى مع ولاة الأمور بالديار المصرية ؛ في دولة المعز ، ووزارة الفائز ، وتفرق البحرية ، وغير ذلك ، واللّه تعالى يقول في كتابه : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، أنهم لهم المنصورون ، وإنّ جندنا لهم الغالبون ﴾ (١) ، وقال تعالى في كتابه : ﴿ إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ يأأيها الذين آمنوا ان تنصروا اللّه ينصركم ، ويثبت أقدامكم ﴾ . (٣)

وقد صح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ،

= صلاح الدين الأيوبي وقومه الأكراد ، علماً أنّه لم يخرج الصليبيين من القدس تحت راية عصبيّة أو قوميّة ، بل حاربهم تحت راية التوحيد ، ومع ذلك كله نرى أنّهم مضطهدون من قِبل إيران وتركيا والعراق ، ولا يجدون من يدافع عنهم من المسلمين وإذا دافع البعض عن قسم منهم فإنّما يدافع لمصالح شخصيّة ومآرب دنيوية ، ولا يدافع عن بقية الأكراد خوفاً من تضرر مصالحه عند الطرف المعتدي ! لقد أبادوهم في قراهم بواسطة الأسلحة الكيماويّة المحرمة وغازات الأعصاب ، ولم نعلم بذلك إلا بعد نشوب حرب الخليج المدمرة ، والتي قضت على خيرات المنطقة ، ولا يزال الطيران يقصف مواقعهم حتى الآن فإلى اللّه المشتكى .

(١) سورة الصافات : الآية ١٧١ - ١٧٣ .

(٢) سورة غافر : الآية ٥١ .

(٣) سورة محمد صلى اللّه عليه وسلم : الآية ٧ .

ولا من خالفهم ، حتى تقوم الساعة » . [١]

وكل من عرف سير الناس وملوكهم ، رأي كل من كـان انصـر لديـن الاسلام وأعظم جهـاداً لأعدائـه وأقـوم بطاعـة اللّـه ورسـوله ، أعظـم نصـرة وطاعة وحرمة ، من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب رضـي اللـه عنـه ، وإلى الآن .

وقد أخذ المسلمون منهم كنائس كثيرة من أرض العنوة بعد أن أقروا عليها في خلافة عمربن عبد العزيز وغيره من الخلفاء ، وليس في المسلمين من أنكر ذلك ، فعلم أنّ هدم كنائس العنوة جائز ؛ إذا لـم يكـن فيـه ضـرر على المسلمين ، فإعراض من أعرض عنهـم كـان لقلـة المسـلمين ، ونحـو ذلك من الأسباب ، كما أعرض النبـي صلـى اللّـه عليـه وسـلم عـن اجـلاء اليهود حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه .

وليس لأحد من أهل الذمة أن يكاتبوا أهل دينهم مـن أهـل الحـرب ، ولا يخبروهم بشـيء مـن أخبـار المسـلمين ، ولا يطلـب مـن وصولهـم أن يكلف ولي أمر المسلمين ما فيه ضـرر علـى المسـلمين ، ومـن فعـل ذلـك منهم وجبت عقوبته باتفاق المسلمين ، وفي أحد القولين يكون قـد نقـض عهده ، وحل دمه وماله .

---

(١) رواه الإمام أحمد ، والبخاري ومسلم .

* الحرب الاقتصادية :

ومن قال أن المسلمين يحصل لهم ضرر إن لم يجابوا إلى ذلك لم يكن عارفا بحقيقة الحال ؛ فان المسلمين قد فتحوا ساحل الشام وكان ذلك أعظم المصائب عليهم ، وقد ألزموهم بلبس الغيار وكان ذلك من أعظم المصائب عليهم ؛ بل التتار في بلادهم خربوا جميع كنائسهم ، وكان نوروز رحمه اللّه تعالى قد ألزمهم بلبس الغيار وضرب الجزية والصغار ... فكان ذلك من أعظم المصائب عليهم ، ومع هذا لم يدخل على المسلمين بذلك إلا كل خير ؛ فان المسلمين مستغنون عنهم ، وهم الى ما في بلاد المسلمين أحوج من المسلمين الى ما في بلادهم ؛ بل مصلحة دينهم ودنياهم لا تقوم إلا بما في بلاد المسلمين ، والمسلمون ولله الحمد والمنة أغنياء عنهم في دينهم ودنياهم ، **فأما نصارى الأندلس** فهم لا يتركون المسلمين في بلادهم لحاجتهم اليهم وانما يتركونهم خوفاً من التتار ، فان المسلمين عند التتار أعز من النصارى وأكرم ، ولو قدر أنهم قادرون على من عندهم من المسلمين فالمسلمون أقدر على من عندهم من النصارى .

والنصارى الذين في ذمة المسلمين فيهم من البتاركة وغيرهم من علماء النصارى ورهبانهم ممن يحتاج اليهم أولئك النصارى ، وليس عند النصارى مسلم يحتاج اليه المسلمون ولله الحمد ، مع أن فكاك الأسارى

من أعظم الواجبات ، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات ، **وكل مسلم يعلم أنهم لا يتجرون الى بلاد المسلمين إلاّ لأغراضهم** ؛ لا لنفع المسلمين ، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم على المال يمنعهم من الطاعة ، وانهم أرغب الناس في المال ، ولهذا يتقامرون في الكنائس ، وهم طوائف مختلفون ، وكل طائفة تضاد الأخرى .

ولا يشير على ولي أمر المسلمين بما فيه إظهار شعائرهم في بلاد الاسلام ، أو تقوية أمرهم - بوجه من الوجوه - إلا رجل منافق يظهر الإسلام وهو منهم في الباطن ، أو رجل له غرض فاسد ، مثل أن يكونوا برطلوه ، ودخلوا عليه برغبة أو رهبة ، أو رجل جاهل في غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية الإلهية ، التي تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين ؛ وإلا فمن كان عارفاً ناصحاً له أشار عليه بما يوجب نصره وثباته وتأييده ، واجتماع قلوب المسلمين عليه ومحبتهم له ، ودعاء الناس له في مشارق الأرض ومغاربها ، وهذا كله إنما يكون بإعزاز دين اللّه واظهار كلمة اللّه وإذلال أعداء اللّه تعالى .

وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين ، وصلاح الدين ، ثم العادل ، كيف مكنهم اللّه ، وأيدهم وفتح لهم البلاد ، وأذل لهم الأعداء ؛ لما قاموا من ذلك بما قاموا به ، وليعتبر بسيرة من والى النصارى ، كيف أذله اللّه تعالى وكبته .

وليس المسلمون محتاجين اليهم ولله الحمد ، فقد كتب خالد بن الوليد - رضي الله عنه - الى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : إن بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خراج الشام إلا به ، فكتب اليه عمر : لا تستعمله ، فكتب اليه : إذ لم نولّه ضاع المال ، فكتب اليه عمر - رضي الله عنه - : مات النصراني والسلام .

وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن مشركاً لحقه ليقاتل معه فقال له :

« إني لا أستعين بمشرك » . (١)

وكما أن استخدام الجند المجاهدين انما يصلح إذا كانوا مسلمين مؤمنين ؛ فكذلك الذين يعاونون الجند في أموالهم وأعمالهم ، إنما تصلح بهم أحوالهم اذا كانوا مسلمين مؤمنين ، وفي المسلمين كفاية في جميع مصالحهم ولله الحمد .

ودخل أبو موسى الأشعري رضي الله على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرض عليه حساب العراق ، فأعجبه ذلك ، وقال : ادع كاتبك يقرؤه عليَّ ، فقال : إنه لا يدخل المسجد ، قال : ولم ؟ قال : لأنه نصراني ، فضربه عمر - رضي الله عنه - بالدرة ، فلو أصابته لأوجعته ،

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

ثم قال :

لا تعزّوهم بعد أن أذلهم اللّه ، و لا تأمنوهم بعد أن خونهم اللّه ، ولا تصدقوهم بعد أن أكذبهم اللّه . (١)

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ؛ قلوبهم واحدة ، مواليه للّه ولرسوله ولعبادة المؤمنين ، معادية لأعداء اللّه ورسوله وأعداء عباده المؤمنين ، وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب ، والجند الذي لا يخذل ، فإنهم هم الطائفة المنصورة الى يوم القيامة ، كما أخبر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقال اللّه تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي

---

(١) سافرت إلى كينيا ، وذهبت لأصرف العملة من أحد البنوك فأخبرني من في معيّتي وهو من مسلمي كينيا ، أنّه يتعيّن على المحاسب ، أو أمين الصندوق ، أو مدير شؤون المالية في الحكومة أن يكون مسلماً ، فقلت : متسائلاً ولماذا ؟ قال : هكذا جرت العادة عندنا منذ زمن .

فقلت : سبحان اللّه وفي بلاد المسلمين ما زال اليهود والنصارى مسؤولين عن الشؤون المالية ويتحكمون في أمور المسلمين الإساسية .

(٢) وإني لأعجب من قوم يذهبون إلى اليهود والنصارى والملحدين ، ويلقون أنفسهم في أحضانهم ، بلَ إنَّ بعضهم يركع عند أقدامهم ليحصل على رضاهم أو يؤلبهم على قتال بعض المسلمين ، سواء كان ذلك عسكرياً أو اقتصادياً ، ولقد والى بعضهم الشيوعيين الملحدين وعادى إخوانه المسلمين حيث المصلحة الوطنية كما يزعمون !!

صدورهم أكبر قد بيّنّا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن اللّه عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن اللّه بما يعملون محيط ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إنّ اللّه لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى اللّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا باللّه جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي اللّه بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين يجاهدون في سبل اللّه ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه واسع عليم إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول اللّه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللّه هم الغالبون ﴾ . [2]

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ١١٧ - ١٢٠ .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٥١ - ٥٦ .

وهذه الآيات العزيزة فيها عبرة لأولي الألباب ، فان اللّه تعالى أنزلها بسبب أنه كان بالمدينة النبوية من أهل الذمة من كان له عز ومنعة على على عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وكان أقوام من المسلمين عندهم ضعف يقين وإيمان ، وفيهم منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر : مثل عبداللّه بن أبيّ رأس المنافقين وأمثاله ، وكانو يخافون أن تكون للكفار دولة ، فكانوا يوالونهم بباطنهم ، قال اللّه تعالى :﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ ، أي : نفاق وضعف إيمان ، ﴿ يسارعون فيهم ﴾ أي : في معاونتهم ، ﴿ يقولون نخشى أن تُصيبَنا دائرة ﴾ ، فقال اللّه تعالى : ﴿ فعسى اللّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا ﴾ ، أي : هؤلاء المنافقون الذين يوالون أهل الذمة ، ﴿ على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا باللّه جهد أيمانهم إنّهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ .

فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين ، وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم ، حتى أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتر وسبي ، وغير ذلك ؛ بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم ، ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم :

كل العدوات ترجى مودتها

إلا عداوة من عاداك في الدين

ولهذا وغيره منعوا أن يكون على ولاية المسلمين ، أو علـى مصلحـة من يقويهـم ، أو يفضـل عليهـم فـي الخـبرة والأمانـة مـن المسـلمين ؛ بـل استعمال من هو دونهم في الكفاية أنفـع للمسـلمين فـي دينهـم ودنيـاهم ، والقليل من الحلال يبارك فيه ، والحرام الكثير يذهب ، ويمحقه اللّه تعالى، واللّه أعلم ، وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم .



القاعدة العاشرة

عدم قتل رجال الدين المحبوسين للعبادة

الإسلام دين الرحمة فلا يحب سفك الدماء بغير حق ، ولذلك ثبت أنَّ الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين كانوا يوصون قادتهم بتقوى اللَّه ، والبدء بالدعوة إلى اللَّه ، وعرض الإسلام على الناس قبل قتالهم ، فإن لم يستجيبوا فيخيروا بين دفع الجزية أو القتال ، فإن أبوا إلا القتال فعندئذ لا يقاتلون إلا من قاتلهم ، فلا يقتلون امرأة ولا طفلاً ، ولا شيخاً هرماً ، ولا راهباً في صومعة ، إمّا إذا اشترك الرهبان أو النساء في القتال فيجري عليهم حكم المقاتلين ، كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام حيث يقول (٦٥٩ - ٦٦٣) :

« الحمد لله ، الرهبان الذين تنازع العلماء في قتلهم ، وأخذ الجزية منهم : هم المذكورون في الحديث المأثور عن خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، أنه قال في وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما بعثه أميرا على فتح الشام ، فقال له في وصيته : **وستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في الصوامع ، فذروهم وما حبسوا**

أنفسهم له ، وستجدون أقواماً قد فحصوا عن أوساط رؤوسهم ، فاضربوا ما فحصوا عنه بالسيف ، وذلك بأن اللّه يقول : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ .

وإنما نهى عن قتل هؤلاء ؛ لأنهم قومٌ منقطعون عن الناس محبوسون في الصوامع ، يسمى أحدهم حبيساً ، لا يعاونون أهل دينهم على أمر فيه ضرر على المسلمين أصلاً ، ولا يخالطونهم في دنياهم ؛ ولكن يكتفي أحدهم بقدر ما يتبلغ به ، فتنازع العلماء في قتلهم ، كتنازعهم في قتل من لا يضر المسلمين لا بيده ولا لسانه ؛ كالأعمى والزمن والشيخ الكبير ونحوه ؛ كالنساء والصبيان .

فالجمهور يقولون : لا يقتل إلا من كان من المعاونين لهم على القتال في الجملة ، وإلا كان كالنساء والصبيان ، ومنهم من يقول : بل مجرد الكفر ، هو المبيح للقتل ، وإنما استثنى النساء والصبيان ؛ لأنَّهم أموال وعلى هذا الأصل ينبني أخذ الجزية .

وأمّا الراهب الذي يعاون أهل دينه بيده ولسانه : مثل أن يكون له رأي يرجعون إليه في القتال ، أو نوع من التحضيض : فهذا يقتل باتفاق العلماء ، إذا قدر عليه وتؤخذ منه الجزية وإن كان حبيساً منفرداً في متعبده ، فكيف بمن هم كسائر النصارى في معائشهم ومخالطتهم الناس ، واكتساب الأموال بالتجارات والزراعات والصناعات ، واتخاذ الديارات الجامعات لغيرهم ، وإنما تميّزوا على غيرهم بما يغلظ كفرهم ، ويجعلهم أئمة في

الكفر ، مثل التعبد بالنجاسات وترك النكاح واللحم واللباس الذي هو شعار الكفر ، لا سيما وهم الذين يقيمون. دين النصارى بما يظهرونه من الحيل الباطلة التي صنّف الفضلاء فيها مصنفات ، ومن العبادات الفاسدة ، وقبول نذورهم وأوقافهم .

والراهب عندهم شرطه ترك النكاح فقط ، وهم مع هذا يجوزون أن يكون بتركا ، وبطرقا ، وقسيساً وغيرهم من أئمة الكفر ، الذين يصدرون عن أمرهم ونهيهم ، ولهم أن يكتسبوا الأموال ، كما لغيرهم مثل ذلك .

فهؤلاء لا يتنازع العلماء في أنّهم من جنس أئمة الكفر الذين قال فيهم الصديق رضي اللّه عنه ما قال ، وتلا قوله تعالى : ﴿ فقاتلوا أئمّة الكفر ﴾ .

ويبين ذلك أنّه سبحانه وتعالى قد قال : ﴿ إنَّ كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل اللّه ﴾[1] ، وقد قال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّه والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون ﴾ .[2]

فهل يقول عالم: إن أئمة الكفر الذين يصدون عوامهم عن سبيل اللّه،

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٤ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣١ .

ويأكلون أموال الناس بالباطل ، ويرضون بأن يتخذوا أرباباً مـن دون اللّـه : لا يقاتلون ، ولا تؤخذ منهم الجزية ؛ مع كونها تؤخذ من العامة الذين هـم أقل منهم ضرراً في الدين ، وأقل أمـوالاً ، لا يقولـه مـن يـدري مـا يقـول ، وإنّما وقعت الشبهة لا في لقظ الراهب من الإجمال والاشتراك ، وقـد بينا أنَّ الأثر الوارد مقيد مخصوص ، وهو يبين المرفوع في ذلـك ، وقـد اتفـق العلماء على أنَّ علّة المنع هو ما بينّاه .

فهؤلاء الموصوفون تؤخذ منهم الجزية بلا ريب ولا نـزاع بيـن أئمـة العلم ، فإنَّه ينتزع منهم ، ولا يحل أن يترك شيء من أرض المسلمين التي فتحوها عنوة وضرب الجزية عليها ؛ ولهذا لم يتنازع فيه أهـل العلـم ، مـن أهل المذاهب المتبوعة : **من الحنفية ، والمالكية ، والشـافعية ، والحنابلة ، أنَّ أرض مصر كانت خراجيـة** ، وقـد ثبـت ذلـك فـي الحديـث الصحيـح ، الذي في « صحيح مسلم » ؛ حيث قال صلى اللّٰه عليه وسلم :

« منعت العراق درهمهـا وقفيزهـا ، ومنعـت الشـام مدهـا ودينارهـا ، ومنعت مصر إردبها ودرهمها ، وعدتم من حيث بدأتم » .

لكـن المسـلمون لمـا كـثروا نقلـوا أرض السـواد فـي أوائـل الدوالـة العباسية من المخارجة إلى المقاسمة ، ولذلك نقلوا مصر إلـى أن اسـتغلوها هـم ، كما هو الواقع اليوم ، ولذلك رفع عنها الخراج .

ومثل هذه الأرض لا يجوز باتفاق المسلمين أن تجعل حبساً على هؤلاء يستغلونها بغير عوض ، فعلم أن انتزاع الأرضين منهم واجـب .

علماء المسلمين ، وإنّما استولوا عليها بكثرة المنافقين من المنتسبين إلى الإسلام في الدولة الرافضية ، واستمر الأمر على ذلك ، وبسبب كثرة الكتاب والدواوين منهم ومن المنافقين ، يتصرفون في أموال المسلمين بمثل هذا كما هو معروف من عمل الدواوين الكافرين والمنافقين .

ولهذا يوجد لمعابد هؤلاء الكفار من الأحباس مالا يوجد لمساجد المسلمين ، ومساكنهم : للعلم ، والعبادة ؛ مع أنَّ الأرض كانت خراجية باتفاق علماء المسلمين ، ومثل هذا لا يفعله من يؤمن باللّه ورسوله ، وإنّما يفعله الكفار والمنافقون ، ومن لبسوا عليه ذلك من ولاة أمور المسلمين ، **فإذا عرف ولاة أمور المسلمين الحال عملوا في ذلك ما أمر اللّه به ورسوله ، واللّه سبحانه وتعالى أعلم .**

وصلى اللّه على محمد » .



قال رسول الله ﷺ :

«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسُنَّتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض»

رواه الحاكم بإسناد صحيح

الخاتمة

قال خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى اللّه عليه وسلم : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » .

لقد أصبح المسلم غريباً في وطنه ، غريباً بين إخوانه وأهل ملّته ، غريباً في أقواله وأفعاله ، بل لقد أصبح كلام سيد ولد آدم صلى اللّه عليه وسلم غريباً في أنسابه ، وأهل محبّته !!

إنَّ هذه الرسالة التي وضعتها بين يدي القراء ، تبين بوضوح حقوق أهل الأديان السماوية ، ما لهم وما عليهم نحو الخالق والإله المعبود جلّ في علاه ، وكذلك ما لهم وما عليهم نحو بعضهم البعض ، وتبين أيضاً القواعد الرئيسية لتوحيد شتات الأمم .

ولعل محتواها لا يتفق مع أهواء الجاحدين بآيات اللّه من أهل الكتاب ، أو يتعارض مع مصالح الذين يتبعون الشهوات من هذه الأمة ، والذين تنازلوا عن أصول عقيدتهم مقابل عرض من الدنيا قليل ، جهلاً منهم لتعاليم هذا الدين الحنيف ، أو تجاهلاً لها حتى لا يستغرب حالهم

في عالم الحضارة والمدنية ! أستغفر اللّه بل عالم الكفر والفسوق والعصيان وقلّة الدين والإيمان والرضى بقيادة العميان !!

وعلى كل حال لقد عاش صاحب هذه الرسالة غريباً في عصره ، وبين أهله وأبناء ملّته ، ولم يكترث بكلام المبطلين ولا بسباب الفاسقين ، ولا باتهامات المغرضين بل داوم على الدعوة والجهاد ، لرفعة هذا الدين ، مقتدياً بسيد بني هاشم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم حين بدأ في الدعوة إلى اللّه ، وقالوا عنه : ساحر ، مجنون ، كاهن ، شاعر، بعد أن كان فيهم: الصادق ، الأمين صلى اللّه عليه وسلم .

وقبل أن أختم الرسالة ، أحب أن أزيل شبهة تراود نفوس بعض المسلمين اليوم ، وهي : أنّهم إذا عايشوا أهل الكتاب على أساس من المساواة بين الأديان والمساواة على أثر ذلك بالحقوق والواجبات ، نالوا رضى الجميع ، وحصلوا على الأمن والأمان في أوطانهم !

وإزالة هذه الشبهة تتمثل في قوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملّتهم ﴾ وأقرب دليل عملي على ذلك الحروب الصليبية ، وما جاءت به من ويلات وسفك لدماء المسلمين الأبرياء ، وما حدث في الأندلس من أعمالٍ أجراميّة ، وكذلك ما يحدث في البوسنة والهرسك ، وكشمير ، والفلبين ، والحبشة ، وفي بورما وغيرها من بلاد العالم أكبر دليل على حقد اليهود والنصارى والبوذيين الملحدين على

الإسلام والمسلمين ، فنحن نعاملهم بالحسنى إذا قدرنا عليهم ، وهم لا يفعلون ذلك إذا قدروا علينا .

والحرب الاقتصادية المفروضة على شعب العراق المسلم ما هي إلا انتقام من أحفاد صلاح الدين الأيوبي الكردي ، الذي حرر الأقصى من براثن الصليبيين ، وتجزئة أوطان المسلمين خطة للسيطرة على خيراتهم وإضعاف شوكتهم ، إنني لا أنظر إلى القيادات ولكن أنظر إلى الشعوب ، فليحذر المسلمون من مكر أعدائهم وليعلموا أنَّ في الوحدة قوة ، وأنَّ التعايش مع الأمم الأخرى يجب أن يكون موافقاً لشريعة اللّٰه التي بها عزّتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

أخرج البخاري في « صحيحه » عن أبي موسى الأشعري رضي اللّٰه عنه أنَّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال :

« مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً إلى الليل ، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا لك ، فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم ، وخذوا أجركم كاملاً ، فأبوا وتركوه ، فاستأجر أجراء بعدهم فقال : اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه ، فقال : أكملوا بقية عملكم ، فإنّما بقي من النهار شيء يسير ، فأبوا فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت

الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » .

إخوة الإيمان ...

توحيد الأديان لا يتم إلا من خلال تعاليم الملك الديان ، الذي أنزل علينا القرآن ، فيه أخبار من قبلنا وأحوال من بعدنا ، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان .

فلا يغرنكم كثرة أهل الباطل ، وعبدة الأوثان ، فاللّه معكم ، والمسيح سينزل ثانية ؛ ويكسر الصلبان ، فتمسكوا بكتاب ربكم وما جاء من الهدى عن النبي العدنان ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، صلواتٌ أرجو بها رضى الرحمن ، والفوز بأعالي الجنان .

والحمد للّه على تمام كتاب «**قواعد التعايش بين أهل الأديان**».



فهرس الموضوعات



صدر للمؤلف

١ ـ حلاوة السنوت في صحيح القنوت.

٢ ـ الجواب الثبت في صيام السبت.

٣ ـ مستدرك المرابط على رسالة الضوابط. / رمادي للنشر

٤ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما ورد في رجب وشعبان.

٥ ـ شذى الجنان في أحكام الأذان.

٦ ـ قواعد التعايش بين أهل الأديان عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. / رمادي للنشر.

٧ ـ الثواب والأجر في الليالي والأيام العشر.

٨ ـ تحقيق رسالة الإنباء بأنَّ العصا من سنن الأنبياء/ للملا قاري رحمه اللّٰه.

٩ ـ سلام الشجعان وسلام الخذلان.

١٠ ـ عطر الأزاهير في حكم التصاوير.

١١ ـ هبة المنان في تهذيب كتاب الصمت وآداب اللسان/ لابن أبي الدنيا رحمه اللّٰه.

١٢ ـ العطر الشذي في روحانيات حديث أبي مالك الأشعري رضي اللّٰه عنه.

١٣ ـ فتح الرحمن في جواب من سأل عن حلاوة الإيمان. / رمادي للنشر.